الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جـامعة محمد الصديق بن يحي– تاسوست –

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة و الأدب

عنوان المذكرة

بلاغة الأمر والنهي في الخطاب القرآني

–دراسة مقارنة بين وصايا سورتي الأنعام ولقمان-

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في الأدب العربي

تخصص: لسانيات عربية

إعداد الطالبتين:

- أمينة بوبكر.
- مريم رتيمة.

إشراف الأستاذ:

فاتح بوزيت .

أعضاء لجنة المناقشة:

1- الأستاذ: خالد بن عميور.	جامعة جيجل	رئيسا
2- الأستاذ: فاتح بوزيت .	جامعة جيجل	مشرفا
3- الأستاذ: عبد الرحمن مزرق.	جامعة جيجل	مناقشا

السنة الجامعية:

1440هـ/1441هـ - 2019م/2020م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكـر وتقــدير

إلهي لا يطيب الليل والنهار إلا بشكرك وبطاعتك، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك وكرمك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك يا ذا الجلال والإكرام

بعد شكر الله تعالى على توفيقه في إتمام هذا العمل، نتقدم بالشكر الجزيل إلى الأستاذ المشرف "فاتح بوزيت" الذي أمدّ لنا يد العون في إنجاز هذا الموضوع، فجزاه الله عنا كل خير.

والشكر موصول إلى كل من ساندنا للوصول بهذا البحث الأكاديمي إلى ما هو عليه، ونخص بالذكر: الأساتذة وأعوان المكتبة، والزملاء، وكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد.

وأخيرا، كل الشكر والتقدير إلى قسم اللغة والأدب العربي بجامعة جيجل – فرع تاسوست– على تكويننا وإخراجنا كفرد ينتفع به في ميدان العلم والمعرفة.

وإلى كل إنسان حر في هذا العالم ينشد المعرفة والعلم لفك قيود الجهل والأمية.

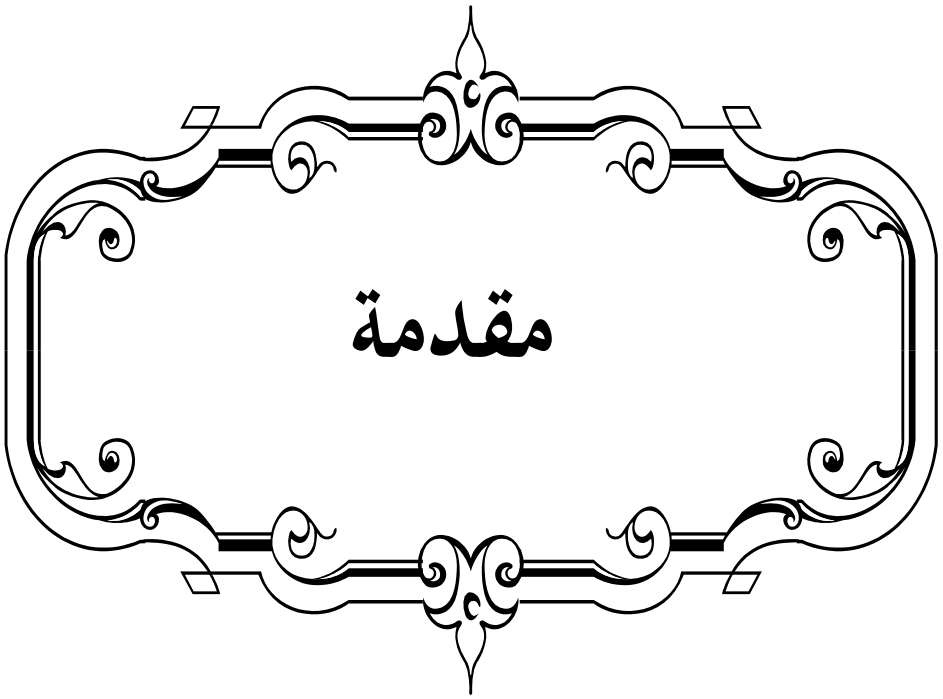

مقدمة

الحمد لله الواحد الأحد، الفرد الصمد، المتصف بالجلال والجمال، والمتفرد بالخلق والكمال، رب العالمين منزل القرآن بلسان عربي مبين، وصلاة ربي وسلامه على أفصح من نطق بالضاد رسوله محمد النور المبين، خير الورى وأعز من وري الثرى، وأزكى من صام وصلى، وبعد:

فإن علم البلاغة العربية من أسمى العلوم قدرا، وأنفعها أثرا، وأجلها مكانة، فهو ميزان العربية، ورائد مسيرتها، علم لا يستغنى عنه طالب علم في كل الأطوار الدراسية لاسيما الأدبية منها ،لأجل ذلك كان من الضروري أن يتعلمه أبناؤنا ليعينهم على فهم لغتهم العربية، والوقوف على أغراض الكلام ومراميه، بالإضافة إلى فهم القرآن الكريم وخدمته، وهنا تكمن أهميته هذا العلم.

فالقرآن الكريم يعدّ الخطاب الأكثر دراسة وتحليل من قبل العلماء والباحثين القدماء منهم والمحدثين، فعمدوا إلى تبيان إعجازه العلمي والبلاغي المتجلي في ألفاظه ومعانيه ونظمه، واستنبطوا من آياته وسوره العديد من العلوم كالنحو، والبلاغة، والصرف...الخ.

ولعل من أبرز صفات هذا القرآن إعجازه البلاغي في جوانبه الثلاث البيان والبديع والمعاني، هذا الأخير ـ علم المعاني ـ هو محور دراستنا الوارد بكثرة في الخطاب القرآني، وهو ما زاد القرآن بلاغة وجمالية، بفضل مباحثه المتعددة، فلما كان القرآن قسم كبير منه هو أمر بالمعروف، ونهي عن المنكر ارتأينا دراسة بعض أساليبه الطلبية لتواجدها بكثرة في وصايا الذكر الحكيم، وهو ما دفعنا إلى اختيارنا لنموذج بحثنا المتمثل في دراسة أساليب الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان لاحتواء السورتين على الوصايا العشر المشهورة، بالإضافة إلى الرغبة في كشف أسرار الإعجاز اللغوي في الخطاب القرآني نتيجة كثرة ورود أسلوبي الأمر والنهي في القرآن خاصة في الوصايا العشر لكل من سورة الأنعام ولقمان ومن هذا المنطلق جاء اختيارنا لهذا الموضوع.

فلا يختلف إثنان أنّ النص القرآني معجز، وأنّ السر الأكبر في إعجازه يرجع إلى بلاغة نظمه، وأنّ سر هذه البلاغة يعود إلى دقائق معاني أساليبه الخبرية والإنشائية التي تضمنها. وأنّ أقوى الأعمدة التي تبنى عليها أساليبه الإنشائية دلالة الأمر والنهي فيه، فهل لهاتين الدلالتين مزية أقوى من غيرها من الدلالات في القرآن الكريم؟

وهل دلالة الأمر والنهي في الوصايا التي تضمنتها بعض سوره أكثر من دلالة الأمر والنهي خارج تلك الوصايا ؟ وهل ثمة أوجه تشابه أو اختلاف بين دلالة الأمر والنهي في وصايا سورة الأنعام ووصايا سورة لقمان ؟

هذه الأسئلة وغيرها، هي ما ستأتي هذه الدراسة على معالجتها، وإيجاد أجوبة لها ـ إن شاء الله ـ من خلال ما تضمنته فصولها ومباحثها التفصيلية.

ولتسليط الضوء على هذا الموضوع، والإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي المقارن، وذلك لتماشيه مع طبيعة موضوعنا المتمثل في الوقوف على ظاهرة الأمر والنهي في الخطاب القرآني وتحديدا في وصاياه العشر ومحاولة تحليلها، والوقوف على أبعادها ثم إجراء مقارنة بين وصايا سورتي الأنعام ولقمان من حيث ورود صيغتي الأمر والنهي فيهما.

وثمة دراسات كثيرة سبقت هذه الدراسة، فمعظم ما ألف في البلاغة العربية قديما وحديثا تناول هذه المسألة بين طيات أقسام البلاغة، تحديدا في علم المعاني، لكن لم يتعرضوا إلى الدراسة المقارنة بين وصايا السورتين محل الدراسة، فجاء بحثنا محاولا سد هذه الثغرة، ومن هذه الدراسات نذكر:

- جمالية الأسلوب الإنشائي الطلبي في القرآن الكريم – سورة المؤمنون أنموذجا–.
- أسلوب الأمر والنهي في القرآن الكريم– سورة النساء أنموذجا دراسة إحصائية–.
- الأغراض البلاغية للإنشاء الطلبي في تفسير الزمخشري –سورة النمل أنموذجا–.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في هذا البحث نذكر منها:

- مفتاح العلوم للسكاكي.
- الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني.
- البلاغة فنونها وأفنانها لفضل حسن عباس.
- مدخل إلى البلاغة العربية ليوسف مسلم أبو العدوس.
- علم المعاني لبسيوني فيود.
- في ظلال القرآن لسيد قطب.

وقد اقتضت طبيعة بحثنا تقسيمه إلى مدخل، ومقدمة وثلاثة فصول وخاتمة، للإلمام بكل حيثيات الموضوع، ومحاولة الوصول إلى الهدف من البحث.

ففي المقدمة تحدثنا بشكل تمهيدي عن الموضوع قيد الدراسة وعن أهميته وأسباب اختياره، بالإضافة إلى أهم الدراسات السابقة، كما أشرنا إلى منهج البحث وأهم المصادر والمراجع التي استقينا منها مادتنا العلمية، وعرجنا على خطته بالتفصيل.

أمّا الفصل الأول، فقد خصصناه للحديث عن المصطلحات الرئيسة في البحث، قسمناه إلى مبحثين: المبحث الأول أشرنا فيه إلى مفهوم كل من الخطاب والخطاب القرآني، في حين أنّ المبحث الثاني تناول مفهوم الوصية وأهم مضامينها في الخطاب القرآني.

وأمّا الفصل الثاني فيعنى بأسلوبي الأمر والنهي، إذ هما زبدة الموضوع في البحث، حيث قسمنا هذا الفصل أيضا إلى مبحثين: المبحث الأول كان لتسليط الضوء على أسلوب الأمر وصيغه ومختلف أغراضه البلاغية، أمّا المبحث الثاني فتناول أسلوب النهي وصيغته وأهم أغراضه البلاغية التي يخرج إليها.

وفي الأخير، الفصل الثالث الذي يمثل دراسة تطبيقية لأسلوبي الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان، فقسمناه إلى ثلاث مباحث: المبحث الأول عرّفنا فيه السورتين وأسباب نزولهما وموضوعاتهما، بينما المبحث الثاني فكان للتطبيق عليهما، أمّا المبحث الثالث فجاء للمقارنة بين أسلوبي الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان.

وتلا هذه الفصول خاتمة ذكر فيها أهم النتائج والاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

ولقد اعترضت سبيل إنجاز هذا البحث جملة من الصعوبات نذكر منها:

– الظروف الراهنة في ظل جائحة كورونا، التي ضيقت علينا سبل البحث الجيد والهادف، والالتقاء بالأساتذة والزملاء والجلوس في كراسي المكتبات، وانتقاء مختلف الكتب الورقية...إلخ.

وفي الختام، نسأل الله التوفيق والسداد، فإنّ أصبنا فبفضله ومنّه وإنّ زللنا فكل ابن أدم خطاء، وأن الكمال لله سبحانه وتعالى.

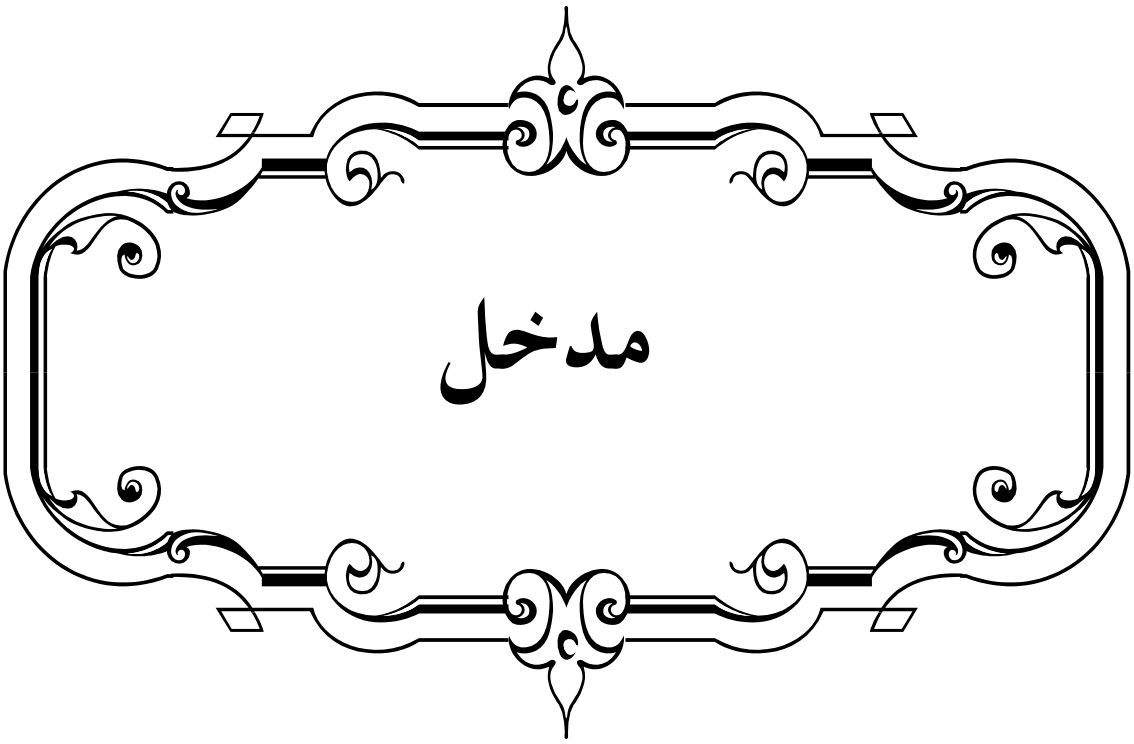
مدخل

في مستهل الحديث، وقبل الولوج إلى مباحث هذا الموضوع، لابد من التعرض إلى بعض المفاهيم الرئيسة التي تعّد من ركائز الأمر والنهي، ومن هذه المفاهيم: تعريف البلاغة، وأقسامها: البديع والبيان والمعاني، هذه الأخيرة التي بدورها تنقسم إلى قسمين هما الخبر والإنشاء.

ومن هنا تتضح معالم دراستنا، وجذورها المنبثقة من علم البلاغة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول في حدّ البلاغة، وذلك استنادا إلى مجموعة من العلماء اللغويين والبلاغيين مايلي:

1- تعريف البلاغة:

1-1- تعريف البلاغة لغة:

وردت تعريفات عديدة للبلاغة على لسان العديد من علماء اللغة والبلاغة.

فيعرفها ابن منظور في معجمه المشهور " لسان العرب " بقوله في المادة (بلغ) :« بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا: وصل وانتهى ؛ (...)، والإبلاغ: الإيصال وكذلك التبليغ، (...)، والبلاغة: الفصاحة »[1].

كما يقول الدكتور عبد الواحد حسن الشيخ : « البلاغة في وضع اللغة، هي الوصول إلى الشيء والانتهاء اليه، فيقال بلغت البلد أبلغه بلوغا والاسم منه البلاغة، وسمي الكلام بليغا لأنه قد بلغ جميع المحاسن كلها في ألفاظه ومعانيه »[2].

في حين أشار يوسف أبو العدوس للتعريف اللغوي للبلاغة بقوله: « البلاغة في اللغة هي الوصول والانتهاء، يقال: بلغ فلان مراده، إذا وصل إليه، وبلغ الركب المدينة، إذا انتهى إليها، أو شارف عليها، ومنه قوله تعالى :﴿ فإذا بلغن أجلهن﴾ ؛ آي قاربنه. وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ: إذا أحسن التعبير عما في نفسه »[3].

أما الدكتور فضل حسن عباس فيقول في حدّ البلاغة :« أمّا البلاغة فيظهر أنها وضعت أول ما وضعت لتدل على الوصول إلى المكان والنهاية إلى الغاية الذي يقصدها العرب في بداوتهم ورحيلهم من مكان إلى آخر»[4].

---

[1]- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج 1، د ط، د ت، ص 346.

[2]- عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص 43.

[3]- يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني- علم البيان – علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2007 م، ص 48.

[4]- فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها: علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 12، 2009 م، ص 17.

ومن أبرز التعريفات في هذا المقام تعريف أبي هلال العسكري الذي يقول فيه:« البلاغة من قولهم: بلغت الغاية إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه »[5].

ومن التعريفات المجازية للبلاغة تعريف الزمخشري في معجمه " أساس البلاغة " حيث يقول فيه: « من المادة (بَلَغَ)،(...)، وبلغ الرجل بلاغة فهو بليغ، وهذا قول بليغٌ، وتبالغ في كلامه: تعاطى البلاغة، وليس من أهلها وما هو ببليغ ولكن يتبالغ »[6].

وهنا نخلص للقول بأن البلاغة من الناحية اللغوية هي الوصول إلى الشيء والانتهاء بالمعنى إلى قلب السامع فيفهمه.

1-2- تعريف البلاغة اصطلاحا:

تعددت مفاهيم هذا المصطلح في كتب البلاغيين القدماء والمحدثين، فلا يخلو كتاب بلاغيّ من التعرض والإشارة إليه.

فيقول أبو هلال العسكري في الإبانة عن حدّ البلاغة ما يلي: « البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه، مع صورة مقبولة ومعرض حسن. وإنّما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطا في البلاغة، لأنّ الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضة خلقا لم يسمّ بليغا، وإن كان مفهوم المعنى مكشوف المغزى »[7].

وفي تعريف آخر : « البلاغة هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته »[8].

في حين ورد تعريفها عند عبد العزيز عتيق بقوله : « أمَّا بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته، ومقتضى الحال مختلف تبعا لتفاوت مقامات الكلام، فمقام كل من التنكير والإطلاق والتقديم والتأخير

[5]- أبو هلال العسكري، الصناعيين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1952 م، ص 6.

[6]- الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ط 1، 1998 م، ص 75.

[7]- أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص 10.

[8]- حفني ناصف وآخرون، دروس البلاغة، تح : محمد بن صالح العثيمين، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط 1، 2004 م، ص 24.

والذكر يباين عكسه من التعريف، والقصر والتأخير، والحذف، ومقام الفصل يباين مقام الوصل، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب ومقام المساواة »[9].

والبلاغة عند كل من " علي الجارم " و " مصطفى أمين " هي : « تأدية المعنى الجليل واضحا بعبارة صحيحة فصيحة لها في النفس أثر خلاب، مع ملاءمة كلّ كلام للموطن الذي يقال فيه، والأشخاص الذين يخاطبون »[10].

أمّا الراغب الأصفهاني فيجعل البلاغة في تعريفه لها على وجهين هما : « أحدهما: أن يكون بذاته بليغا، أي الكلام، وذلك بأن يجمع ثلاثة أوصاف...صوابا في موضوع لغته، وطبقا للمعنى المقصود به، وصدقا في نفسه، ومتى احترم وصف من ذلك كان ناقصا في البلاغة.

والثاني: أن يكون بليغا باعتبار القائل والمقول له، وهو أنه يقصد القائل أمرا فيورده على وجه حقيق أن يقبله المقول له »[11]

وانطلاقا من التعريفات السابقة الذكر، نلاحظ أن العلماء قد أجمعوا على أن البلاغة هي: موافقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته بمعنى إيصال المعنى إلى قلب السامع، بألفاظ واضحة وفصيحة تلائم المقام الذي وضعت له. والغرض الذي يصاغ الكلام من أجله.

2- فروع علم البلاغة:

قسم علماء البلاغة هذا العلم إلى ثلاثة أقسام هي: البيان والبديع والمعاني، فلا تكاد تخلو كتب البلاغة القديمة وكذا الحديثة من أحد فروعها لأنّها تعد الركائز الأساسية للبلاغة العربية، ومن هذه الأقسام:

2-1- علم البيان:

وعلم البيان هو أحد فروع علم البلاغة العربية، والبيان في اللغة: هو الكشف والإيضاح والظهور...بأن الشيء يبين بيانا: اتضح، فهو بين. وأبان الشيء فهو مبين وأبنته أي وضّحته، واستبان الشيء: ظهر، والتبين: الإيضاح .»[12]

[9]- عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية : علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 11.

[10]- علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: المعاني، البيان، البديع، دار المعارف، مصر، د ط، د ت، ص 8.

[11]- الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 145.

[12]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 143.

أمّا علم البيان في اصطلاح البلاغيين : « فأصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضها عن بعض، في وضوح الدلالة العقلية على ذلك المعنى نفسه »[13].

كما يقول محمد أمين الضناوي في مفهومه لعلم البيان: « هو العلم الذي نستطيع به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة، وتراكيب متباينة في درجة الوضوح، فإذا أردنا مثلا أن نصف شخصا بالشجاعة يسمى (نبيلا) نقول:

- نبيلٌ شجاعٌ.
- نبيل كالأسد في الشجاعة.
- نبيل كالأسد.
- نبيل أسد في الشجاعة.
- نبيل أسد.
- رأيت أسدا يسمى نبيل.
- رأيت ساكن عرين يسمى نبيلاً .

وبالتالي تلك الصور المختلفة في وضوح الدلالة على شجاعة نبيل تسمى علم البيان »[14].

ومن هنا نستخلص أنّ علم البيان هو ذلك العلم الذي يعرف بإيراد المعنى الواحد بصور مختلفة، سواء بالزيادة في وضوح الدلالة أو بالنقصان وهذه الصور تكون بالدلالات العقلية وليست الدلالات الوضعية.

- يتضمن علم البيان أربعة مباحث رئيسة هي: التشبيه، الاستعارة، المجاز، الكناية.

2-1-1- التشبيه:

والمقصود به « إلحاق أمر بأمر آخر في صفة أو أكثر بأداة من أدوات التشبيه ملفوظة أو ملحوظة »[15].

وللتشبيه أربعة أركان هي: المشبه، المشبه به، وهما طرفا التشبيه، ووجه الشبه وأداة التشبيه.

---

[13]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق ، ص 143.

[14]- محمد أمين الضناوي، معين الطالب في علوم البلاغة: علم المعاني – علم البديع – علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ص 87.

[15]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 144.

كما أن للتشبيه خمسة أقسام نذكرها كالأتي:

أ- **التشبيه المرسل**: وهو التشبيه الذي ذكرت فيه الأداة ؛ بمعنى التشبيه الذي قيل بطريقة عفوية، أي أرسل بلا تكلف، فذكرت أداة التشبيه بين الطرفين[16]. وذلك نحو: أنت كالبحر في الكرم.

ب- **التشبيه المؤكد**: هو التشبيه الذي حذفت منه الأداة بمعنى أن التشابه بين الطرفين مؤكد[17]. وذلك نحو قول الشاعر:

أنت نجم في رفعة وضياء تحتليك العيون شرقا وغربا

فمن خلال هذا البيت الشعري نلاحظ أن المشبه: أنت (الممدوح)، المشبه به: نجم، أداة التشبيه: محذوفة، وجه الشبه: رفعه وضياء.

ج- التشبيه المجمل: « وهو التشبيه الذي حذف فيه وجه الشبه، أي أن التشبيه مختصر مجموع، وذلك نحو قول الشاعر:

كم نعمة مرت بنا وكأنها فرس يهرول أو نسيم ساري »[18]

ومن خلال هذا المثال نجد أن المشبه هو " نعمة " ،أمّا المشبه به فهو " الفرس والنسيم " ، أداة التشبيه: كأن ، في حين أن وجه الشبه: محذوف.

د- التشبيه المفصل: « وهو التشبيه الذي ذكر فيه وجه الشبه »[19]. ومثال ذلك قولنا: زيدٌ كالأسد في الشجاعة.

هـ- التشبيه البليغ: والمقصود به ذلك التشبيه « الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه »[20]، ومثال ذلك قولنا: أنتِ زهرةٌ.

---

[16]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق ، ص 145.

[17]- ينظر: المرجع السابق، علي الجارم و مصطفى أمين،ص25

[18]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق ، ص 145.

[19]- ينظر: أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح:يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، د ط، د ت، ص 235.

[20]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق ، ص 145.

2-1-2- الاستعارة:

يقول محمد أمين الضناوي في حقها: « هي نقل اللفظ من معناه الأصلي إلى معنا مجازي، بينه وبين الأول مشابهة مع وجود قرينة دالة، تدل على أن المعنى الأصلي للفظ غير مقصود، والقرينة إمّا

أنّ تكون موجودة في الكلام أو أن تفهم بالعقل من فحوى الكلام »[21].

ومثال ذلك قولنا: غنى الطير أنشودة فوق الأغصان، حيث شبهنا الطير بالإنسان الذي يغني ، فحذفنا الإنسان وأبقينا على قرينة دالة عليه وهي (غنى)، على سبيل الاستعارة المكنية، وغرضنا التشخيص.

- تنقسم الاستعارة إلى قسمين هما: استعارة مكنية وأخرى تصريحية .

أ- **الاستعارة المكنية:** « وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز له بشيء من لوازمه »[22]. ومثال ذلك قوله عز وجل على لسان زكريا عليه السلام: ﴿**رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا**﴾[23]، حيث شبه زكريا عليه السلام الرأس بالوقود، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الاشتعال، وهذا على سبيل الاستعارة المكنية.

ب- **الاستعارة التصريحية:** « وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به »[24]، مثال ذلك قول المتنبي يصف دخول رسول الروح على سيف الدولة:

وأقبل يمشي في البساط فما درى إلى البحر يسعى أم إلى البدر يرتقي[25]

وكذلك قولنا: إني شديد العطش إلى لقائك.

وللاستعارة ثلاثة أركان هي:

« أ- **المستعار منه:** وهو المشبه به.

---

[21]- محمد أمين الضناوي، المرجع السابق، ص 101.

[22]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 188.

[23]- سورة مريم ، الآية 4.

[24]- محمد أمين الضناوي، المرجع السابق، ص 102.

[25]- المتنبي أبو الطيب، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1983 م، ص 304.

ب- **المستعار له:** المشبه.

ج- **المستعار:** اللفظ الذي يؤخذ من المشبه به إلى المشبه.

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ »[26].

ومن خلال المثال الذي طرحه يوسف أبو العدوس، فإنّ المستعار منه هو: الظلمات/النور في حين أن المستعار له هو: الكفر/الإيمان، حيث شبه الكفر بالظلمات وشبه الإيمان بالنور ثم حذف كل منهما (الكفر والإيمان) وصرّح بالمشبه به (الظلمات/ النور) وهذا على سبيل الاستعارة التصريحية.

2-1-3- المجاز:

والمراد به « اللفظ المستعمل في غير ما وضع له لعلاقة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى السابق، كقولك: فلان يتكلم بالدُّرَر فإن كلمة الدرر مستعملة في غير ما وضعت لها، إذ أنها قد وضعت في الحقيقة للآلئ والجواهر والأحجار الكريمة، ثم نقلت إلى الكلمات الفصيحة لعلاقة المشابهة بينهما في الحسن والجمال، والذي يمنع من إرادة المعنى الحقيقي هو: قرينة الفعل " يتكلم "[27].

كما ورد في قوله تعالى: ﴿ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ﴾ [28] ، وبالتالي فالأصابع كلمة مستعملة في غير موضعها الأصلي لأنّ الإصبع لا يدخل كاملا في الأذن وإنما الأنامل هي التي تدخل فقط. وبالتالي فالله سبحانه وتعالى استعمل الكل في الجزء. فذكر الأصبع بدل الأنملة، وهذا على سبيل المجاز، وللمجاز نوعان هما: المجاز اللغوي (اللفظي)، والمجاز العقلي.

2-1-4- الكناية:

والكناية في اللغة هي : « مصدر كنى يكنو، أو كني يكني، والكني أو الكنو معناه الستر، فالكناية ستر المقصود وراء لفظ، أو عبارة، أو تركيب »[29].

---

[26]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 186.

[27]- حفني ناصف وآخرون، المرجع السابق، ص 119.

[28]- سورة البقرة، الآية 19.

[29]- يوسف أبو العبدوس، المرجع السابق، ص 212.

أما في اصطلاح البلاغيين فيقصد بها: « ترك التصريح بالشيء إلى مساويه في اللّزوم لينتقل منه إلى اللزوم، كما تقول فلان طويل النجاد لينتقل منه إلى طول القامة، وفلان نؤوم الضحى، لينتقل منه إلى كونها مخدومة غير محتاجة إلى اصطلاح المهمات إلى نفسها. وسميت كناية لإخفائها وجه التصريح»[30].

في حين وردت في كتاب " دروس البلاغة " بمعنى " « اللفظ الذي أريد به لازم، معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى نحو: طويل النجاد، أي: طويل القامة »[31].

وهنا يتفق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي. حيث أن الكناية هي ستر وإخفاء وجه التصريح، وللكناية ثلاثة أنواع نلخصها فيما يلي:

أ- **الكناية عن صفة:** ويقصد بها: « تلك التي يطلب بها نفس الصفة والمراد بالصفة هنا الصفة المعنوية، كالكرم والشجاعة والحلم والغنى والجمال، لا النعت المعروف في علم النحو. وفي هذا النوع من الكناية، يذكر الموصوف، وتستر الصفة مع أنها غير المقصودة، والموصوف هو الملزوم الذي تلزم عنه الصفة أو تلازمه، ومنه تنتقل إليها »[32].

ويمثل عن ذلك بقوله تعالى، مبينا الكناية في ذلك، بقوله: ﴿ سَنَسِمُهُ على الخرطوم ﴾، أي سنعلمه على أنفه علامة لا يمحى أثرها فلا تخفى على أحد. ومن يراه يعرف المهانة التي لحقت به، والعار الذي ألم بسمعته (...) فالوسم على الأنف كناية عن صفة المهانة والإذلال »[33]

ب- **الكناية عن موصوف:** وفي هذه الحالة « تذكر الصفة، ويستر الموصوف مع أنه هو المقصود، والصفة هي اللازم من الموصوف، ومنها تنتقل إليه »[34].

كما يقول السكاكي في هذا الصدد : « الكناية في هذا القسم تقرب تارة وتبعد أخرى، فالقريبة هي أن يتفق في صفة من الصفات اختصاص بموصوف معين عارض فستذكرها متصلا بها إلى ذلك الموصوف، مثل أن تقول: جاء المضياف وتريد زيداً. لبعض اختصاص للمضياف بزيد، والبعيدة، هي: أن تتكلف اختصاصها، بأن

[30]- ابن مالك بدر الدين ، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، د ط، د ت، ص 146.
[31]- حفني ناصف وآخرون، المرجع السابق، ص 149.
[32]- يوسف أبو العبدوس، المرجع السابق، ص 212.
[33]- المرجع نفسه ، ص 212.
[34]- المرجع نفسه، ص 212.

تضم إلى لازم آخر وآخر، فتلفق مجموعا وصفيا مانعا عن دخول كل ما عداه مقصودك فيه. مثل أن تقول في الكناية عن الإنسان: حيّ، مستوي القامة، عريض الأظفار»[35]

وبالتالي يمكن القول أن الكناية عن موصوف تكون بحذف الموصوف وذكر الصفة الدالة عليه مع أن الموصوف هو المقصود بالكلام وبالتالي فالصفة تنقل إليه.

ج- الكناية عن نسبة: وهي الكناية التي « يذكر فيها الموصوف، ويذكر معه شيء ملازم له، وتذكر الصفة، ثم تنسب هذه الصفة إلى الشيء الملازم للموصوف، فهي إذا تخصيص الصفة بالموصوف، أو إثبات أمر لأمر أو نفيه عنه »[36]، ومثال ذلك قولنا: المجد بين ثوبيه، والجود بين برديه، ففي هذا الاستشهاد نجد أن المجد والجود لا ينسبان إلى المخاطب مباشرة إنما ينسبان إلى ماهو متصل بهما. وهو الثوب في الجزء الأول، والبرد في الجزء الثاني، وذلك على سبيل الكناية عن نسبة.

- ويظهر الفرق بين الكناية والمجاز عند السكاكي في وجهين هما:

«**أحدهما:** أن الكناية لا تناف إرادة الحقيقة بلفظها فلا يمتنع في قولك: فلان طويل النجاد أن تريد طول نجاده، من غير ارتكاب تأول مع إرادة طول قامته، وفي قولك: فلانة نؤوم الضحى أن تريد: أنها تنام الضحى، لا عن تأويل يرتكب في ذلك مع إرادة كونها مخدومة مرفهة والمجاز ينافي ذلك، فلا يصح في النحو: رعينا الغيث، أن تريد معنى الغيث وفي نحو قولك: في الحمام أسد، أن تريد معنى الأسد، من غير تأويل لأن المجاز ملزوم قرينة معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت، وملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء.

و**الثاني:** إنّ مبني الكناية على الانتقال من اللازم إلى الملزوم، ومبنى المجاز على الانتقال من الملزوم إلى اللازم»[37].

2-2- علم البديع:

يعرّف البديع من الناحية اللغوية: « الجديد المخترع لا على مثال سابقا ولا احتذاء متقدم، تقول: بدع الشيء وأبْدَعَه فهو بَادِع ومُبْدِع »[38]، أمّا من الناحية الاصطلاحية فيعرف بأنه : « علم يُعْرف به وجوه تحسين الكلام المطابق لمقتضى الحال. وهذه الوجوه:

---

[35]- السكاكي ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 1983 م، ص 404.

[36]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 216.

[37]- السكاكي، المرجع السابق، ص 403.

[38]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 237.

- ما يرجع منها إلى تحسين المعنى يسمى بالمحسنات المعنوية.
- وما يرجع منها إلى تحسين اللفظ يسمى بالمحسنات اللفظية.»[39]

وهنا يتضح لنا أن للبديع قسمان رئيسيان هما:

أ- **المحسنات البديعية المعنوية:** « وهي التي يكون التحسين بها راجع إلى المعنى وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ، فالغاية من هذه المحسنات تحسين المعنى »[40]، ومن المحسنات المعنوية التي يهتم بها علم البديع نذكر: التورية، الطباق، المقابلة، حسن التعليل، تأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه اللف والنشر، الإرصاد، التقسيم، تجاهل العارف، مراعاة النظير، تشابه الأطراف، الاستطراد، المزاوجة، المشاكلة، الاطرّاد... وسنقف فيما يلي عند بعضها على سبيل التمثيل لا على سبيل الحصر:

أولا: الطباق

وهو ما يعرف بالمطابقة التي تعني الجمع بين متضادين.[41] وينقسم إلى نوعين هما: طباق الإيجاب وطباق السلب.

أ- **طباق الإيجاب:** « وهو ما اتفق فيه الضدان إيجابا وسلبا»[42]، نحو قوله تعالى في سورة الكهف ﴿**وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ**﴾[43]، فالكلمتين: أيقاظا، ورقود هما كلمتان متضادتان إيجابا.

ب- **طباق السلب:** وهو النوع الثاني من الطباق والمتمثل في الطباق الذي « اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، كأن يؤتى بفعلين أحدهما مثبت والآخر منفي »[44] ومثال ذلك قولنا تعلم≠لاتعلم.

ثانيا: المقابلة:

وتمثل أحد فنون الطباق وتكون بأن « يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابلهما...»[45].

---

[39]- حفني ناصف وآخرون، المرجع السابق، ص 157.
[40]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 237.
[41]- ينظر: السكاكي، المرجع السابق، ص 423.
[42]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 244.
[43]- سورة الكهف، الآية 18.
[44]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 244.
[45]- المرجع نفسه، ص 247.

ومن هنا نخلص إلى أنّ الطباق يكون في اللفظ المفرد أمّا المقابلة فتكون في الجمع أو العبارات المتضادة على الترتيب.

وفي هذا الإطار يقول السكاكي : « المقابلة وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر وبين ضديهما. ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده. »[46]

وخير مثال عن ذلك قول الله عزوجل في كتابه الكريم: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴾.[47]

فالله سبحانه وتعالى قابل ألفاظ متوالية متضادة وهي: (أعطى ≠ بخل) و (اتقى ≠ استغنى) وكذلك : (صدّق ≠ كذّب) وبين (اليسرى ≠ العسرى). ومن هنا نلاحظ أن المقابلة كانت جلية في هذه الآية الكريمة.

وفي موضع آخر يقول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾.[48]

فنلاحظ أن الكلام يتضمن معنيين اثنين متضادين وذلك مع مراعاة الترتيب. (الأبرار ≠ الفجار) و (النعيم ≠ الجحيم).

ب– المحسنات البديعية اللفظية: والغاية من هذا القسم هو تحسين اللفظ، ومن بين هذه المحسنات نذكر:

أولا: الجناس:

أو ما يعرف بالتجنيس فيقول في حقه أبو هلال العسكري : « التجنيس أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها »[49]. ومعنى ذلك أن الجناس هو تشابه اللفظتين في النطق واختلافهما في المعنى. كقولنا: صلينا المغرب بالمغرب؛ فاللفظة الأولى هي وقت الصلاة، أمّا الثانية فهي بلد المغرب.

وينقسم الجناس إلى نوعين هما: الجناس التام وغير التام.

---

[46]– السكاكي، المرجع السابق، ص 424.

[47]– سورة الليل، الآية 5 – 10.

[48]– سورة الانفطار، الآية 13 – 14.

[49]– أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص 325.

– **الجناس التام:** « وهو ما اتفقت حروفه في الهيئة والنوع والعدد والترتيب ومثال ذلك قولك: يَزِيدُ هو في الكيل يَزِيدُ. فلفظة يزيد الأولى هي اسم علم أمّا اللفظة الثانية فهي الفعل المضارع من زاد. والتقدير: يزيد زاد في الوزن.

– **الجناس غير التام:** أو المعروف بالجناس الناقص؛ ويقصد به اختلاف اللفظتين في الهيئة دون الصورة. كقولك مثلا: البُرْدُ* يمنع البَرْدَ، وقولك أيضا: البِدْعَة شَرَكُ* الشِرْكِ.[50]

نلاحظ في المثالين الأخيرين: أن البُرْدُ والبَرْدُ لفظتين متشاركتين في الحروف لكنهما يختلفان في الهيئة. وكذلك مع المثال الآخر.

ثانيا: السجع.

يعرف بأنه: « توافق الفاصلتين نثرا في الحرف الأخير. نحو:الإنسان بآدابه لا بزيّه وثيابه »[51]، ومن خلال المثال الذي استشهد به القائل نلاحظ أن كل من (أدابه، بزيّه، ثيابه) تنتهي بنفس الحرف أي تتوافق الفاصلة فيهم.

وفي هذا الإطار يقول أبو العدوس أنّ: « السجع هو اتفاق فواصل الكلام في الحرف الأخير دون تقيد بالوزن وأفضله ما تساوت فقره. »[52]

وللسجع أربعة أضرب في النثر وهي: المرصّع، المتوازي، المطرّف، المشطور.

ثالثا: التصريع:

يعرف بأنّه: « توافق نهاية الشطرين في بيت الشعر الواحد وبقافية متشابهة وغالبا ما يكون ذلك في مطالع القصائد تمييزا للقصيدة عن غيرها »[53].

(*)–الشَّرَكُ:حبائل،الصيد،المصيدة،الكمين.

[50]– ينظر: السكاكي، المرجع السابق، ص 429.

(*)– البُرْد: كساء مخطط يلتحق به.

[51]– حفني ناصف وآخرون، المرجع السابق، ص 174.

[52]– يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 289.

[53]– المرجع نفسه، ص 292.

وخير مثال عن ذلك قول امرئ القيس في رواية المفضل:

أحار بن عمرو كأنيّ خمر ويعدو على المرء ما يأتمر[54]

والملاحظ من هذا البيت توافق أواخر الكلمتين في نهاية الشطرين في البيت الشعري الواحد. وهو مطلع قصيدة امرؤ القيس. وذلك في اللفظتين: خَمِرْ و يَأْتَمِرْ، فاللفظة الأولى تسمى المصراع الأول والثانية تسمى المصراع الثاني.

إضافة إلى ذلك توجد محسنات بديعية لفظية أخرى منها: الموازنة، الترصيع، التشطير، التشريع، المماثلة...الخ.

2-3- علم المعاني:

علم المعاني هو أحد علوم البلاغة الثلاثة المعروفة: المعاني والبيان والبديع، حيث كانت البلاغة في بادئ الأمر وحدة شاملة وموحدة لهذه العلوم، وشيئا فشيئا أخد المشتغلون بالبلاغة العربية ينحو بها منحى التخصص والاستقلال، كما أخذت مسائل كل فنّ بلاغي تتبلور وتتلاحق واحدة بعد أخرى.

2-3-1- مفهوم علم المعاني:

يعرّف البلاغيون هذا العلم بجملة من التعاريف:

فيقول فيه السكاكي أنه : « تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، وأعني بتراكيب الكلام، التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء »[55].

في حين يقول القزويني أن: « علم المعاني: هو علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال، مع وفائه بغرض بلاغي يفهم من السياق، وما يحيط به من القرائن، أو هو علم يبحث في الجملة بحيث تأتي معبرة عن المعنى المقصود »[56].

---

[54]- امرؤ القيس، ديوانه، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1964 م، ص 154.

[55]- السكاكي، المرجع السابق، ص 161.

[56]- القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م، ص 4.

كما ورد في تعريف آخر: « علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها كيفية ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له »[57].

وإذا تمعنا في التعريفات السابقة نجد أنّ البلاغيين يقصدون بعلم المعاني، ذلك العلم الذي يهتم بصياغة العبارة صياغة تتناسب تماما مع المقام الذي قيلت فيه، وتعبر تعبيرا دقيقا عن القصد المرجوّ. بمعنى تركيب الكلام تركيبا يتوافق مع المقام الذي قيل فيه.

ويكمن الغرض من دراسة علم المعاني في الكشف عن أسرار الجمال في القرآن الكريم ومعرفة إعجازه، وما خصّه الله به من جودة السبك، وحسن الوصف وبراعة التركيب، ولطف الإيجاز، وما اشتمل عليه من سهولة التركيب، و جزالة كلماته وعذوبة ألفاظه وسلامتها.[58]

بالإضافة إلى خدمة القرآن الكريم، فإنّ علم المعاني له فائدة كبيرة في الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة في المنثور والمنظوم من كلام العرب المتقدمين ومن أتوا بعدهم.[59]

وأول من دوّن قواعد علم المعاني هو الإمام " عبد القاهر الجرجاني (**ت. 471هـ**)، حيث بين ذلك في كتابه " أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز " ،فهو الذي هذّب مسائله، وأوضح قواعده.

2-3-2- مباحث علم المعاني:

قلنا فيما سبق أنّ علم المعاني يبحث في أحوال الكلام وكيفية مطابقتها لمقتضى حال المخاطب، أي أنه يبحث في « بناء الجملة العربية: صياغتها، اختيار أجزائها، علاقة الجمل المتتابعة بعضها ببعض، اختيار نوع الكلام الملائم لمقتضى حال المخاطب، خبرا أو إنشاءًا، إيجازا أو إطنابا أو مساواة »[60].

لذلك فإن مباحثه حسب علماء البلاغة تكاد تنحصر فيما يلي: [61]

- أحوال المسند.

---

[57]- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 46.

[58]- ينظر: محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 260.

[59]- ينظر: محمد أمين الضناوي، المرجع السابق، ص 25.

[60]- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 4، 2015، ص41.

[61]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 53.

- أحوال المسند إليه.
- أحوال متعلقات الفعل.
- القصر.
- الفصل والوصل.
- الإيجاز والإطناب والمساواة.
- الخبر والإنشاء.

وفي الآتي ذكر لبعض مباحث علم المعاني باختصار:

أولا: القصر.

ورد القصر في مقاييس اللغة في مادة (قصر) حيث قال ابن فارس: « القاف والصاد والراء أصلان صحيحان أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه ونهايته، والآخر على الحبس، والأصلان متقاربان »[62].

كما يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي في معجمه العين: « القصر: الغاية (...) والقصر كفك نفسك عن شيء وقصرت نفسي على كذا أقصرها (...)، والمقصورة: المحبوسة في بيتها وخِدْرِها لا تخرج »[63].

يتفق كل من ابن فارس والخليل بن أحمد الفراهيدي في تعريفهم اللغوي للقصر على أنه الحبس والغاية والكف عن الشيء.

أمّا اصطلاحا فيعرفه المراغي بقوله: « إثبات الحكم للمذكور في الكلام ونفيه عمّا عداه، أو هو تخصيص أمر بأمر. »[64]

كما يعرّفه السكاكي في مفتاحه بقوله: « القصر تخصيص الموصوف عند السامع بوصف دون ثان، كقولك: زيد شاعر لا منجم، لمن يعتقده شاعرا ومنجما، أو قولك: زيد قائم لا قاعد، لمن يتوهم زيدا على أحد الوصفين من غير ترجيح »[65].

---

[62]- ابن فارس، المرجع السابق، ص 97.

[63]- الخليل أبو عبد الرحمان بن أحمد الفزاهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وابراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د م ، ج 5، دط، د ت، ص 58.

[64]- المراغي أحمد مصطفى، علوم البلاغة: البيان والبديع والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 3، 1993 م، ص 150.

[65]- السكاكي، المرجع السابق، ص 288.

ومن هنا يتضح لنا معنى القصر والمتمثل في تخصيص شيء بشيء أخر بطريقة مخصوصة وذلك نحو قولنا: الأرض متحركة لا ثابتة.

ثانيا: الفصل والوصل:

الوصل في اصطلاح البلاغيين هو: « عطف جملة على أخرى بالواو، أمّا الفصل هو ترك هذا العطف »[66]. ومثال الوصل قوله تعالى في سورة الانفطار: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾.[67]

أمّا مثال الفصل فمتجليا في قوله عز وجل: ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴾.[68]

ثالثا: الإيجاز والإطناب والمساواة.

إن الإيجاز والإطناب والمساواة من بين الأساليب التي لا غنى عنها في التعبير عن المعاني الموجودة في الذهن، وعن العواطف الجياشة في القلب. وفيما يلي ذكر مختصر لهذه الطرق التعبيرية:

أ- الإيجاز:

يعرّفه أبو هلال العسكري بقوله: « الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة »[69]، في حين يعرّفه الشريف الجرجاني بقوله: « الإيجاز: أداء المقصود بأقل من العبارة المتعارفة »[70].

ومن خلال هذين التعريفين يمكن القول أن الإيجاز هو الإتيان بمعاني كثيرة في ألفاظ قليلة مسبوكة بطريقة بلاغية وجمالية، وخير مثال على ذلك قوله عز وجل في أحد المواضع من كتابه: ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾.[71]

---

[66]- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2003 م، ص347.

[67]- سورة الانفطار، الآية 13 – 14.

[68]- سورة الطارق، الآية 17.

[69]- أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص 173.

[70]- الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 38.

[71]- سورة الأعراف، الآية 199.

فقد جمعت الآية الكريمة معاني عديدة في مكارم الأخلاق رغم قصر طولها وقلة ألفاظها. حيث أن هذا القصر لم يخلل بمعنى الآية وإنما زادها جمالا ورونقا وقوة في التأثير. في ظل الإبانة والإفصاح.

ب– الإطناب:

المراد بالإطناب « زيادة اللفظ على المعنى لفائدة »[72]، ونستشهد لذلك بقوله تعالى: ﴿ **تِلْكَ وَمَا بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ۝١٧ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ** ﴾.[73]

وهنا يظهر الإطناب جليا على لسان موسى عليه السلام، فقد كان يكفي أن يجيب على السؤال بـ: العصا لكنه أطنب فذكر العصا وفصّل في وظائفها وما يتعلق بها. فالزيادة في الجواب يحقق إضافة وفائدة للسامع.

ج– المساواة:

يقصد بالمساواة « أن يكون اللفظ في الكلام بمقدار المعنى، لا ينقص عنه ولا يزيد عليه، كما لا ينقص عنه بحذف للاختصار مثلا ولا يزيد عليه بمثل الاعتراض والتكرار »[74].

كما عرّفها أبو هلال العسكري فقال « المساواة هي أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني، لا يزيد بعضها على بعض، وهو المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب »[75]

وخير مثال يجسد الإطناب قوله تعالى: ﴿ **وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ** ﴾.[76]

وإذا تأملنا في هذه الآية الكريمة نجد أن الألفاظ فيها بقدر المعاني وإذا حاولنا إضافة لفظ زائد لجاءت الزيادة لغير فائدة، في المقابل إذا أردنا حذف لفظ منها أخل المعنى.

---

[72]– علي الجارم ومصطفى أمين، المرجع السابق، ص 250.

[73]– سورة طه، الآية 17 – 18.

[74]– مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 2002 م، ص 44.

[75]– أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص 179.

[76]– سورة فاطر، الآية 43.

رابعا: الخبر والإنشاء.

ينقسم الكلام في اللغة العربية إلى خبر وإنشاء. وفيما يلي تفصيل لذلك:

أولا: الخبر.

يعرف الخبر في الاصطلاح على أنه: « قول يحتمل الصدق والكذب، والمقصود بصدق الخبر مطابقته للواقع، والمقصود بكذب الخبر عدم مطابقته للواقع. »[77]

ومثال ذلك قولنا: حضر الضيف الذي ننتظره، فهذا يعدّ خبرا يحتمل الصدق والكذب، فإذا خرجنا من المنزل وتأكدنا من حضوره فالخبر صادق وإذا لم نرى حضوره فالخبر هنا كاذب، وبالتالي فالحكم على صدق الخبر وكذبه يكون بمطابقته للواقع.

وللخبر مؤكدات كثيرة أهمها مايلي:[78]

- **إنّ** : كما في قوله تعالى حكايته عن رسل عيسى عليه السلام: ﴿إنّا إليكم مرسلون﴾.
- **أنّ** : كقول أحد الشعراء: وأعلم أنّ ثياب العفا ف أجمل زي لمجتابها.
- **لام الابتداء:** كما في قول الشاعر:

وإن الذي بين وبين بني أبي وبين بني عمي لمختلف جدا.

- **أحرف التنبيه:** مثل:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وأقدام وحزم ونائل.

- **القسم:** مثل: والله لقد نجح أخوك.
- **نون التوكيد الثقيلة والخفيفة:** كقوله تعالى: ﴿ لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين ﴾.
- **الحروف الزائدة كالباء:** مثال:

ليس الصديق بمن يعيرك ظاهرا مبتسما عن باطن متجهم

[77]- يوسف أبو العدوس، المرجع السابق، ص 56.
[78]- المرجع نفسه، ص 59.

- **التكرار**: كقوله تعالى: ﴿ وجعلنا نومكم سباتا، وجعلنا الليل لباسا، وجعلنا النهار معاشا ﴾.
- **قد**: مثل قوله تعالى: ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ﴾.
- **أما الشرطية**: كما في قول الشاعر:

أمّا الفراق فإنه ما أعهد هو توأمي له أن بيننا يولد

- **إنّما**: مثل: إنّما أنا نذير.
- **اسمية الجملة**: مثل قول الشاعر:

لقد نصحتك إن قبلت نصيحتي والنصح أغلى ما يباع ويوهب.

كما أنّ للخبر أضرب ثلاثة هي:

أ- **الخبر الابتدائي**: « وهو ما خلا من توكيد »[79] نحو: أنت ناجح.

ب- **الخبر الطلبي**: « وهو ما أكد بمؤكد واحد »[80] نحو: إنّك ناجح.

ج- **الخبر الإنكاري**: « وهو ما زاد توكيده على مؤكد واحد »[81] وذلك نحو: لجاهل العبد إن لم يحمد ربه.

ثانيا: الإنشاء

تعددت مفاهيم الإنشاء بين العلماء النحويين والبلاغيين وكل ينظر له بوجهة تخصصه، فيعرفه عبد السلام محمد هارون بقوله: « الإنشاء هو الكلام الذي لا يحتمل الصدق والكذب لذاته، ولا يصح أن يقال لقائله، إنّه صادق أو كاذب، لعدم تحقق مدلوله في الخارج وتوقفه عن النطق به »[82]

وينقسم الإنشاء إلى قسمين هما: إنشاء طلبي وأخر غير طلبي:

- **الإنشاء غير الطلبي**: ويقصد به « ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويضم مجموعة من الصيغ منها:[83]

[79]- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج 1، ط 10، 2005 م، ص 68.

[80]- المرجع نفسه، ص 68.

[81]- المرجع نفسه، ص 68.

[82]- عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط 5، 2001 م، ص 13.

[83]- ينظر: يوسف أبو العدس، المرجع السابق، ص ص 63-64-65.

- **أفعال المدح والذم:** ويكونان ب " نعم " و " بئس " وما جرى مجراهما نحو حبذا و لا حبذا. والأفعال المحولة إلى معنى المدح والذم. ومثال ذلك: نعم الرجل زيدٌ، بئس الكلام الفاحش.
- **أفعال العقود:** وهي الألفاظ التي تستعمل في مواضع البيع والشراء. وأمثالهما نحو: بعت، اشتريت، وهبت...الخ ومثال ذلك قولنا: باعني الرجل البيت.
- **أفعال الرجاء:** وتكون بحرف واحد هو " لعل "، وبثلاثة أفعال هي: (عسى، حرى، اخلولق). ومثال ذلك: لعل المطر ينزل.
- **حروف القسم:** وتكون بالواو، والباء، والتاء. وغيرها، ومثال ذلك قولنا: والله ربنا لكريم بعباده.

– **الإنشاء الطلبي:** وهو « ما يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب »[84] . وللإنشاء الطلبي خمسة أنواع هي: الاستفهام، التمني، النداء، الأمر والنهي.

أ– **التمني:** يعرّفه البلاغيون بأنّه: « طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى لاستحالة الحصول عليه، أو بعد مناله »[85]

ومثال ذلك قولنا: ليت الزمان يعود للوراء.

وأيضا قوله تعالى: ﴿**قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ**﴾[86]

ب– الإستفهام.

يقول المراغي في تعريفه للإستفهام: « هو طلب فهم شيء لم يتقدم لك علم به، بأداة من إحدى أدواته»[87] وبالتالي فالاستفهام هنا بمعنى السؤال عن حقيقة الأمر إذا لم يكن على علم به.

وللاستفهام إحدى عشرة أداة:

– **الهمزة:** نحو: أكنت تعلم؟

[84]– أحمد مطلوب، أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1980 م، ص 107.

[85]– بكري شيخ أمين، المرجع السابق، ص 77.

[86]– سورة يس، الآية 26 – 27.

[87]– المراغي، المرجع السابق، ص 63.

- **هل:** نحو: هل كنتم تعلمون؟
- **من:** نحو: من الطارق؟
- **ما:** نحو: ما هذا الشيء؟
- **متى:** نحو: متى يوم الوعيد؟
- **أين:** نحو: أين تسافر؟
- **أيان:** نحو: **قال تعالى:** ﴿ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾[88]
- **أنّى:** نحو: قال تعالى: ﴿ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ﴾[89]
- **كيف:** نحو: كيف حالك؟
- **كم:** نحو: كم الساعة؟
- **أي:** نحو: أي الفريقين اخترت؟

ج- النداء:

يعرّف بأنه: « طلب الإقبال حسا أو معنا بحرف نائب مناب (أدعو) سواء كان ذلك الحرف ملفوظا مثل قوله تعالى فيما يحكي على لسان زكرياء وهو يخاطب مريم البتول، (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال : يا مريم آنّى لك هذا؟ قالت: هو من عند الله) »[90].

أمّا عن أدوات النداء فإنّها تنقسم إلى قسمين اثنين هما: قسم لنداء القريب ويتأتى بالهمزة و(أي)، ومثال ذلك قول المتلهف على وحدة الأمة: أي صلاح الدين.

في حين النداء البعيد فيتأتى ب: (يا) و (أيّا) و (وا).

د- الأمر:

نحو قوله تعالى:﴿ **وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا** ﴾[91]

---

[88]- سورة القيامة، الآية 6.

[89]- سورة أل عمران، الآية 37.

[90]- عبد العزيز أبو سريع يس، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط 1، 1989 م، ص 316.

[91]- سورة مريم، الآية 16.

د– النهي:

نحو قوله تعالى:﴿ **وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا** ﴾ [92]

وللتفصيل أكثر في الأمر والنهي باعتبارهما المحور الذي تقوم عليها أطروحتنا الأكاديمية، أفردنا لذلك فصلا خاصا بهما يبرز كل حيثياتهما بوضوح واسترسال.

[92]– سورة الكهف، الآية 23.

الفصل الأول

مفاهيم نظرية لمصطلحات البحث

1: الخطاب والخطاب القرآني.

1-1: مفهوم الخطاب.

1-1-1: تعريف الخطاب لغة.

تعدّدت تعاريف الخطاب من معجم لآخر، حيث عرّفه ابن منظور في لسان العرب على النحو الآتي: « مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا وهما يتخاطبان، (...)، حيث يقول الليث: والخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخاطب على المنبر، واختطب يخطب خطابة، واسم الكلام: الخطبة؛ وقال ابن منظور: والذي قال الليث إن الخطبة مصدر الخطيب وهو أنّ الخطبة اسم للكلام، الذي يتكلم به الخطيب فيوضع موضع المصدر. »[93]

إذا تمعنا في هذا القول نجد أنّ الخطاب عند ابن منظور يرتبط بشيئين اثنين هما الكلام، وعدد المشاركين في الفعل اللّغوي.

وجاء تعريف الخطاب عند الخليل بن أحمد بما يلي: « الخطاب: مراجعة الكلام، والخطبة: مصدر الخطيب (...)، وجمع الخطيب: خطباء »[94]

كما ورد مفهوم الخطاب في معجم اللغة العربية المعاصرة ب: « تخاطب يتخاطب تخاطبا، فهو متخاطب وخطب في الناس أي ألقى خطبته، ظلّ يخطب على المنبر ساعة كاملة، وخاطب صديقه: كلّمه وحادثه، واجهه بالكلام »[95]. والدليل على هذا الكلام قوله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ **وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمًا**﴾[96]

1-1-2: تعريف الخطاب اصطلاحا.

إنّ مصطلح الخطاب شاع بكثرة عند علماء أصول الفقه كونه يمثل الأساس الذي يرتكزون عليه في مختلف أبحاثهم، لأنه المنبع الرئيسي لمعرفة واستنباط الأحكام الشرعية؛ إذ يعرفه الكفوي (1094هـ) بقوله:« الخطاب:

---

[93]- ابن منظور، مرجع سابق، مج 2، ص 1194.

[94]- الخليل بن أحمد الفراهيدي، مرجع سابق، ج 4، ص 222.

[95]- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008 م، ص 659.

[96]- سورة الفرقان، الآية 63.

اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه. فاحترز " باللفظ " عن الحركات، والإشارات المفهمة " بالمواضعة "، وبالمتواضع عليه، عن الألفاظ المهملة، و " بالمقصود به الإفهام " عن كلام لم يقصد به إفهام المستمع، فإنّه لا يسمى خطابا، وبقوله " لمن هو متهيئ لفهمه " عن الكلام لمن لا يفهم كالنّائم[97].

من خلال هذا القول يبين لنا الكفوي الشروط اللازمة لكل من المخَاطِب والخِطَاب والمخَاطَب، فالمخاطِب يشترط فيه الإفهام وإيصال الرسالة أمّا الخطاب فيجب أن يكون ممّا تواضع أناس عليه، في حين أن المخاطَب أو المستمع فيشترط فيه أن يكون متهيئا ومستعدا للفهم واستقبال الرسالة الخطابية.

وقد أورد أيضا كلاما في تعريف الخطاب قائلا: « والكلام يطلق على العبارة الدّالة بالوضع، وعلى مدلولها القائم بالنفس، فالخطاب إمّا الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام»[98].

ويعرفه الآمدي (ت: 361هـ) بقوله: هو « اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه »[99]؛ بمعنى أنّ الخطاب هو تلك الألفاظ التي اتفق عليها لدى جماعة من النّاس والموضوعة من أجل الوصول إلى تحقيق الفهم وتوصيل الرسالة. و « يعد الخطاب خطابا كل ملفوظ / مكتوب يشكل وحدة تواصلية قائمة الذات »[100].

وإذا تمّعنا في هذا القول نجد أنّ الخطاب هو ذلك الملفوظ أو المكتوب الذي يحقق الغاية التواصلية بين مستعملي اللغة الواحدة.

1-2- مفهوم الخطاب القرآني:

يعد الخطاب القرآني الكتاب الخالد للأمة الإسلامية، وهو كلام الله عز وجل وقول رباني أنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام والمنقول عنه بالتواتر والمحفوظ في الصدور والسطور من كل تحريف أو مس، كما يعدّ آخر الخطابات السماوية – وقد تعددت تعاريف الخطاب القرآني فلكل تعريفه، ومن هذه التعاريف نذكر مايلي:

[97]- الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1998 م، ص 304.

[98]- المرجع نفسه، ص 304.

[99]- الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 1، ط 2، 1986 م، ص 132.

[100]- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2010 م، ص 24.

– عرّفه محمد أحمد مغبد بقوله: « هو كلام الله تعالى عز وجل المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، بواسطة أمين الوحي جبريل، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه. »[101]

وقيل الخطاب القرآني هو: «كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين، على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية الناس أجمعين، وقد جاء معجزة خالدة تحدى بها الإسلام العرب»[102].

كما ورد تعريف آخر قيل فيه: « القرآن كلام الله المعجز على خاتم الأنبياء والمرسلين بواسطة الأمين جبريل عليه السلام، المكتوب في المصاحف والمنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة والمختتم بسورة الناس، وهذا التعريف متفق عليه بين العلماء والأصوليين، أنزله الله تبارك وتعالى ليكون دستورا للأمة وهداية للخلق، وليكون آية على صدق الرسول، وبرهانا ساطعا على نبوته ورسالته، وحجة قائمة إلى يوم الدين تشهد بأنه تنزيل الحكيم الحميد »[103].

أما التعريف الذي يتفق عليه جل علماء الأصول والفقهاء وعلماء العربية هو: « الكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه بالتواتر، المتعبد بتلاوته. »[104]

وإذا تمعّنا في هذه التعريفات وجدناها تجمع على أنّ الخطاب القرآني هو: كلام الله عز وجل المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام بواسطة جبريل، المتعبد بتلاوته، المنقول إلينا بالتواتر المبدوء بسورة الفاتحة والمنتهي عند سورة الناس. والذي جاء لهداية الناس أجمعين لطريق الحق.

1-3- خصائص الخطاب القرآني:

للقرآن الكريم خصائص كثيرة ومزايا عظيمة؛ فهو خطاب معجز في لفظه ومعناه، ومن هذه الخصائص نذكر مايلي:

[101]- محمد أحمد مغبد، نفحات من علوم القرآن، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط1، 1986 م، ص 13.
[102]- محمد اسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، بيروت، د ط، د ت، ص 12.
[103]- محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران، ط 3، 2003، ص 8.
[104]- صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 10، 1977، ص 21.

أولا: يتسم القرآن الكريم بأسلوب راق، سلس، لأنّ « أسلوبه ليس موجه إلى شخص بعينه ولا إلى جيل بعينه، بل خوطبت بالقرآن أجيال وأجيال، إلى أنّ يرث الله الأرض ومن عليها »[105].

ثانيا: يتميز القرآن الكريم عن سائر الخطابات الأدبية بفصاحته وبيانه وبلاغته ويكتسب أهميته خاصة كونه تنزيل من الله تعالى[106].

ثالثا: ومن خصائص الخطاب القرآني أنه خطاب عقلي وجداني في آن واحد فأسلوبه اتسم بإرضائه للعقل والعاطفة البشرية لأنّ لكل إنسان قوتان: قوة التفكير وقوة العاطفة والوجدان[107].

رابعا: يتميز القرآن الكريم عن سائر الخطابات بجودة السبك وإحكام السرد[108]، والدليل على ذلك قول الزرقاني – رحمه الله – : « إنّ القرآن الكريم تقرؤه من أوله إلى أخره فإذا هو محكم السرد، دقيق السبك، متين الأسلوب، قوي الاتصال، آخذ بعضه برقاب بعض في سوره وآياته وجمله...»[109].

خامسا: لم يقتصر القرآن الكريم على علم دون علم؛ بل جاء شاملا لكل العلوم والمعارف وإن كان غرضه الهداية للناس، فاشتمل على معارف تقوم بها الحجة ويعم بها النفع[110]. ودليل ذلك قول الرافعي – رحمه الله – : « القرآن الكريم هو كان سبب العلوم الإسلامية ومرجعها كلها، بأنه ما من علم إلاّ وقد نظر أهله في القرآن وأخذوا منه مادة علمهم »[111]

سادسا: جاء القرآن الكريم بمنهج الإصلاح، « فانتشل الأمة الإسلامية في سنوات معدودة من ركام الجاهلية وظلماتها إلى شموخ الإسلام وعزته، وما كان لأحد أن يفلح في هذا الأمر لولا المنهج الذي سلكه القرآن الكريم في الإصلاح »[112].

---

[105]– فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 10، 1997 م، ص 20.

[106]– ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

[107]– ينظر: المرجع نفسه، ص 35.

[108]– فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي ، المرجع السابق، ص 39.

[109]– المرجع نفسه، ص 39.

[110]– المرجع نفسه، ص 69.

[111]– الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 9، 1973 م، ص 122.

[112]– ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، المرجع السابق، ص ص 76-77.

سابعا: « احتوى القرآن الكريم على جملة من الأخبار الغيبية التي جسدت الإعجاز تجسيدا قويا وفريدا من نوعه، حيث عجز أعلم العلماء عن الإتيان بمثله فلا يخطر ببال أحدهم الإتيان بمثله، وإن حاول منهم سفيه ذلك، زاد سفاهته سفاهة وحمقه حمقا. »[113]

وهذه بعض خصائص وسمات الخطاب القرآني، وهي على سبيل الذكر لا الحصر، لأن خصائص القرآن الكريم عديدة ولا تحصى، ومزاياه عظيمة على البشرية. ويبقى للأبد مرجعية مقدسة لكل إنسان يبتغي الحق على وجه الأرض.

2: وصايا القرآن الكريم.

2-1: مفهوم الوصية

2-1-1: تعريف الوصية لغة:

ترد الوصية في معاجم اللغة العربية بالمعاني التالية: الوصل والاتصال والعهد والفرض، وتفصيل القول في هذه المعاني على النحو التالي:

أ- الوصية بمعنى الوصل والاتصال.

يقول ابن فارس في أصل الفعل وصّى: « أصل يدل على: وصل شيء بشيء، وقد وصيت الشيء؛ وصلته، ويقال: وطأنا أرضا واصية أي: إن نبتها متصل قد امتلأت منه، ووصيت الليلة باليوم: وصلتهما، وذلك في عمل تعمله. »[114]

وقد عرّف ابن منظور الوصية وذكر سبب تسميتها بهذا الاسم فقال: « والوصية ما أوصيت به، وسميت وصية لاتصالها بأمر الميت، وقيل لعلي عليه السلام: وصي، لاتصال نسبه وسببه وسمته بنسب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم. »[115]

---

[113]- ينظر: فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، المرجع السابق ، ص 87.

[114]- ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الذين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، ط 1، 1999م، ص 234.

[115]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 6، ص 4854.

ب- الوصية بمعنى العهد

تأتي الوصية أيضا بمعنى العهد يقول الزبيدي في هذا الإطار: « وأوصاه إيصاء. ووصاه توصية، إذا عهد إليه، وفي الصحاح أوصيت له بشيء وأوصيت إليه إذا جعلته وصيّك، وأوصيته ووصيته توصية بمعنى »[116].

ج- الوصية بمعنى الفرض:

قال ابن سيده : « وقوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [117] ، معناه: يفرض عليكم، لأن الوصية من الله إنما هي فرض. والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[118] وتواصوا: أوصى بعضهم بعضا، وقوله تعالى: ﴿ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ﴾[119]؛ أي أوصى به أولهم آخرهم، والألف للتوبيخ »[120]، كما وردت تعريفات لغوية أخرى للوصية منها قول الفيروز أبادي: « الوُصاةُ والوصية: جريدة النخل يُحْزِمُ بها، ويوصى: طائر »[121].

ويقول في موضع آخر: « والاسم الوصَاةُ والوِصايةُ والوصية وهو الموصى به أيضا والوصيُّ: الموصِي والمُوْصَى، وهي وحيٌّ أيضا. ج: أوصياء، أو لا يثنى ولا يجمع. »[122]

2-1-2- تعريف الوصية اصطلاحا:

لقد تعددت التعاريف الاصطلاحية للفظ الوصية عند العلماء والمفسرين كونه مصطلح شرعي بالدرجة الأولى.

---

[116]- الزبيدي محي الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسني الواسطي، تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 39، ط 1، 2007 م، ص97.

[117]- سورة النساء، الآية 11.

[118]- سورة الأنعام، الآية 151.

[119]- سورة الداريات، الآية 53.

[120]- ابن سيده أبو الحسن علي بن اسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 8، ط 1، 2000 م، ص 395.

[121]- الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: نصر أبو الوفاء الهوريني ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004 م، ص 1349.

[122]- المرجع نفسه، ص 1349.

فيعرفه الراغب الأصفهاني بقوله: « الوصية هي التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترنا بوعظ.

من قولهم: أرض واصيةٌ: متصلة النبات. ويقال: أوصاه، ووصاه،قال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُ ﴾[123]، وقوله عزوجل:﴿ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ ﴾ [124] »[125]، كما عرفها الإمام " محمد رشيد رضا " (1335 هـ) فقال : « ما تعهد به إلى غيرك من العمل في المستقبل القريب أو البعيد، يقولون: يسافر فلان إلى بلد كذا وأوصيته أو وصيته بأن يحضر لي معه كذا، ويقولون: وصيت المعلم بأن يراقب آداب الصبي ويؤدبه على ما يسيء به، ولكنهم لا يقولون في طلب الشيء الحاضر أو العمل: أوصيت ولا وصيت »[126]

كما عرّفها الشيخ الألوسي (1270 هـ) بقوله: « التوصية: التقدم إلى الغير بفعل فيه صلاح وقربة سواء كان حالة الاحتضار أولا وسواء كان ذلك التقدم بالقول أو الدلالة، وإن كان الشائع في العرف استعمالها في القول المخصوص حالة الاحتضار »[127].

إذن نلاحظ في هذا القول أن قائله جعل التوصية مقترنة بالصلاح والقربة، وذلك في حالة الاحتضار أو سواها ووسيلتها قد تكون بالقول أو الدلالة، واستمد تعريفه هذا من العرف.

في حين عرفها " محمد الطاهر بن عاشور " (1393 هـ) بأنها:

« **الإيصاء**: الأمر بشيء يفعل في غيبة الآمر فيؤكد على المأمور بفعله، لأن شأن الغائب التأكيد، وأطلق الإيصاء على ما أمر الله به، لأنّ الناس لم يشاهدوا حين فعلهم ما يأمرهم به، فكان أمر الله مؤكد فعبر عنه بالإيصاء تنبيها له على الاحتراز من التفويت في أوامر الله، ولذلك أطلق على أمر الله الإيصاء وذلك في مواضع عدة من القرآن الكريم، كقوله تعالى:﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ ﴾ [128] »[129]

---

[123] _ سورة البقرة، الآية 132.

[124] – سورة النساء، الآية 12.

[125] – الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 3، 2002 م، ص 873.

[126] – محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تح: محمد عبده، دار المنار، مصر، ج4، ط 3، 1367 هـ، ص 404.

[127] – الألوسي محمود شكري البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 1، د ط، د ت، ص 389.

[128] – سورة النساء، الآية 11.

[129] – محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 8، د ط، د ت، ص 134.

وقال أيضا: « والوصية الأمر بفعل شيء أو تركه مما فيه نفع للمأمور أو الآمر في مغيب الآمر في حياته أو بعد موته، وشاع إطلاقها على أمر بشيء يصلح بعد موت الموصي »[130].

من خلال التعريفات الاصطلاحية السابقة التي أوردناها يمكن استنتاج مجموعة من النقاط أهمها:

- الوصية لا تكون للزمن الحاضر، و إنما للزمن المستقبل.
- الوصية تكون غالبا بفعل فيه صلاح وقربة ولا تكون بفعل فيه فساد ومضرة.
- القول والدلالة هما وسيلتان للوصية.
- الوصية قد تكون في حالة الاحتضار وقد تكون في غيرها من الحالات.
- الوصية تكون لفعل شيء أو تركه.

2-2: مضامين وصايا القرآن الكريم.

2-2-1: المضمون العقائدي.

أوصى الله عز وجل عباده بأصول العقيدة، ورسّخ في قلوبهم عقيدة التوحيد، والنهي عن الشرك، فإذا هم تذكروا هذه الأصول وجعلوها نصب أعينهم حيث أمرهم بإقامة دينه في الأرض وذلك بأن يتواصوا بالحق، ويصبروا على الأذى، وهذه المضامين الجزئية تندرج تحت المضمون العقدي ،و من ضمن هذه المضامين نذكر:

أ- مضمون الحق.

حيث أوصانا الله عز وجل بالتواصي بالحق فقال:﴿ **وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ**﴾[131] .

والحق هو نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحقاق، ووردت هذه اللفظة في القرآن: ﴿ **قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ** ﴾[132] ، (...)، وحقَّ الأمر يحِقُّ ويحُقُّ حقاً وحقوقاً صار حقاً وثبت، (...)، وحقق الرجل إذا قال هذا

[130]- محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ج 2، ص 147.

[131]- سورة العصر، الآية 03.

[132]- سورة القصص، الآية 63.

هو الحق، (...)، وحق الأمر يحقه حقا وأحقه: كان منه على يقين، (...)؛ تقول حققت الأمر وأحققته إذا كنت على يقين منه (...) واحتق القوم: قال كل واحد منهم الحق بيدي.»[133]

وإذا تمعّنا في معاني الحق اللغوية عند ابن منظور وجدناها تدور حول معنى الثبات واليقين.

أما التعريف الاصطلاحي للحق فيقول ابن عاشور فيه: « والحق ترجع معانييه إلى موافقة الشيء لما يحق أن يقع.»[134]، وقال أيضا: « الحق الأمر الثابت؛ من حق إذا ثبت ووجب، وهو ما تعترف به سائر النفوس بقطع النظر عن شهواتها. »[135]

ومن أهم الصّفات التي يجب أن يتميز بها المتواصون بالحق مايلي: معرفته والثبات عليه، والاعتصام به، والإصرار عليه، فالذي يعلي قدر النفس ويرفع شأنها، معرفتها للحق واستمساكها به، كما يجب أن تتوفر فيهم الجرأة الكافية والشجاعة للجهر بهذا الحق لأنهم منتدبون من الله تعالى لإشاعة الحق وإيداعه بين الناس، كما أنّ التواصي بالحق يورث المحبة والألفة بين المتواصين ويورث الاجتماع والائتلاف، وينفي الفرقة والاختلاف، وكثيرا من الصفات الذميمة؛ كالاستعلاء والتكبر والأنانية.

فمن عرف الحق واتبعه وأوصى به غيرهم فإنه لا يظل عن الغاية ولا يتيه عن الطريق، ومن كفر تفرقت به السبل واستهوته الشياطين وكان له عذاب الجحيم، فالتواصي بالحق يثمر الخير وينجي من الخسران المبين ويحقق الفوز والفلاح والنصر في الدنيا والآخرة.

ب– التواصي بالصبر

أوصى الله عز وجل بالتواصي بالصبر فقال:﴿ **إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ**﴾[136]. وقال أيضا:﴿ **ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡمَرۡحَمَةِ** ﴾ [137]

.

ورد مفهوم الصبر لغة في معاجم اللغة العربية بالمعاني التالية:

[133]– ابن منظور، المرجع السابق، مج 2، ص ص 939 – 940.
[134]– ابن عاشور، المرجع السابق، ج 1، ص 364.
[135]– المرجع نفسه، ج 1، ص 470.
[136]– سورة العصر، الآية 03.
[137]– سورة البلد، الآية 17.

« صبر: من أسماء الله تعالى: الصبور تعالى وتقدس؛ هو الذي لا يعالج العصاة بالانتقام، وهو من أبنية المبالغة، ومعناه قريب من معنى الحليم، والفرق بينهما أن المذنب لا يؤمن العقوبة في صفة الصبور كما يؤمنها في صفة الحليم...والصبر: نقيض الجزع. حيث ورد في قوله تعالى: ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ معناه: وتواصوا بالصبر على طاعة الله، والصبر عند الدخول في معاصيه، والصبر: الجَرَاءَةُ، وأصل الصبر الحبس. وصَبَر به يصْبُر صَبْرًا: كَفَلَ وهو به صبيرٌ، والصبيرُ: الكفيل »[138].

ومنه نستنتج أن الصبر في اللغة له معاني لغوية عديدة أهمها: عدم التعجل، والجرأة، الحبس والكفيل،...إلخ.

أمّا بالنسبة للمفهوم الاصطلاحي فإنّه يأخذ مفهومه من معانيه اللغوية، حيث عرّفه القرضاوي بقوله: « حبس النفس على ما تكره، ابتغاء مرضاة الله، كما قال تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ ﴾. [139] »[140]

و الصبر هو« حبس النفس عن الجزع والتسّخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن التشويش. »[141] ،ومنه نستنتج أن التعريفات الاصطلاحية التي سبق ذكرها تدور حول معنى واحد، وهو حبس النفس على ما يقتضيه الشرع مع ترك الأفعال المشتهاة ابتغاء مرضاة الله.

وأمر الله عز وجل عباده أن يتواصوا بالصبر فقال في كتابه: ﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾.[142]

وقد أكد القرآن الكريم على فضيلة التواصي بالصبر، وجعلها صفة من صفات عباد الله الناجين من النار، الفائزين بالجنان، المقتحمين العقبة. وقد فسر ابن قيم الجوزية معنى العقبة بقوله: «العقبة مكان شاق كؤود يقتحمه الناس حتى يصلوا إلى الجنة، واقتحامه بفعل هذه الأمور، فمن فعلها اقتحم العقبة.»[143]

والصبر عنصر ضروري للتقوى بصفة عامة، والصبر درجة والتواصي به هو درجة تماسك الجماعة المؤمنة فيقوي بعضها بعضا، والتواصي بالصبر كذلك ضرورة، فالقيام على الإيمان والعمل الصالح وحراسة الحق والعدالة،

---

[138]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 4، ص ص 2391- 2392.

[139]- سورة الرعد، الآية 22.

[140]- القرضاوي يوسف، الصبر في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 3، 1989 م، ص 7.

[141]- هيا بنت ناصر الراشد، الصبر جنة المؤمن، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2014، ص 12.

[142]- سورة العصر، الآية 03.

[143]- ابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، ج 6، د ط، د ت، ص 365.

من أعسر ما يواجه الفرد والجماعة، ولابد من الصبر على جهاد النفس، وجهاد الغير، والصبر على الأذى والمشقة، والصبر على تبجّح الباطل وتنفّج البشر، والصبر على طول الطريق وبطء المراحل، وانطماس المعالم، وبعد النهاية !. »[144]

ويقول سيد قطب أيضا: « والتواصي بالصبر يضاعف المقدرة، بما يبعثه من إحساس بوحدة الهدف، ووحدة المتجه، وتساند الجميع، وتزودهم بالحب والعزم والإصرار...»[145]

ج– التوصية بالنهي عن الشرك:

أوصى الله تعالى عباده بالنهي عن الشرك وذلك بقوله تعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ** ﴾[146]

وقال في موضع آخر: ﴿**وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** ﴾.[147] فالشرك ورد في معاجم اللغة العربية بمعاني عديدة فيقال: « مخالطة الشريكين؛ يقال اشتركنا بمعنى تشاركنا، وقد اشترك الرجلان وتشاركا وشاركا أحدهما الأخر، والجمع أشراك وشركاء.

وأشرك بالله جعل له شريكا في ملكه، والاسم الشرك، والشرك أن يجعل لله شريكا في ربوبيته...»[148]

ويقول ابن فارس: « الشين والراء والكاف أصلان: أحدهما يدل على اقتران وعدم انفراد (...) وهو أن يكون الشيء بين اثنين لا ينفرد به أحدهما، ويقال: شاركت فلانا في الشيء، إذا صرت شريكه، وأشركت فلانا إذا جعلته شريكا لك...»[149]

[144]– سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج6، ط 15، 1988 م، ص 4650.

[145]– المرجع نفسه، ص 4650.

[146]– سورة الأنعام، الآية 151.

[147]– سورة لقمان، الآية 13.

[148]– ابن منظور، المرجع السابق، ج 2، ص ص 306-307.

[149]– ابن فارس، المرجع السابق، مقاييس اللغة، ص 265.

– المعنى الاصطلاحي للشرك:

لقد اختلفت عبارات العلماء في بيان معنى الشرك في الدين، وإنّ كانت هذه العبارات تكملّ بعضها البعض، وفيما يلي بيان لبعض أقوالهم في تعريفهم الاصطلاحي لهذه اللفظة:

يقول ابن تيمية: « وأصل الشرك أنّ تعدل بالله تعالى مخلوقاته في بعض ما يستحقه وحده، فإن لم يعدل أحد بالله شيئا من المخلوقات في جميع الأمور، فمن عبد غيره أو توكل عليه فهو مشرك به، كمن عمد إلى كلام الله الذي أنزله، وأمر باستماعه، فعدل به سماع بعض الأشعار. »[150]

ويقول الشيخ عبد الرحمان السعدي: « وحقيقة الشرك بالله: أن يعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوع من خصائص الربوبية أو الألوهية »[151]

ويقول عبد الله بن حميد الأثري: « الشرك هو الاعتقاد بأنّ لله شريكا في ذاته، أو في صفاته، أو في ألوهيته، أو في عبادته، أو في ملكه، ولذا يكون الشرك ضد التوحيد تماما، كما أن الكفر ضد الإيمان. »[152]

في حين عرّفه الراغب الأصفهاني بقوله: « شرك الإنسان في الدين ضربان: أحدهما: الشرك العظيم، وهو: إثبات شريك لله تعالى. يقال: أشرك فلان بالله، وذلك أعظم كفر. قال تعالى: ﴿**إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ**﴾[153]، (...) والثاني: الشرك الصغير، وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء والنفاق »[154]

والذي يظهر من خلال هذه الأقوال أن الشرك حقيقته هو اتخاذ الند مع الله سواء كان هذا الند في الألوهية أو الربوبية أو الأسماء أو الصفات، وبهذا يتفق قول العلماء في حقيقة الشرك مع قول أصحاب المعاجم اللغوية بأن أصل الشرك هو اتخاذ شركاء مع الله.

إن الله تعالى يوصينا بعبادته وحده دون شرك له، وهي وصية الأنبياء جميعا من أدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم، فيقول الله تعالى في هذا الصدد: ﴿ **قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ**

---

[150]– ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، تح: محمد رشاد سالم، ج 1، د ط، د ت، ص 344.

[151]– السعدي عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2002 م، ص 499.

[152]– عبد الله بن حميد الأثري، أنواع الشرك، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، د ط، د ت، ص 6.

[153]– سورة النساء، الآية 48.

[154]– الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 452.

﴿ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾[155]، فالشرك بالله من أكبر المحرمات وأكثرها إفسادا للعقل والفطرة، لذلك نهانا الله عنه .

قال البقاعي في تفسيره سورة الأنعام : « ﴿ ألا تشركوا به شيئا ﴾، الآيات مرتبة جملها أحسن ترتيب، فبدأ بالتوحيد في صريح البراءة من الشرك إشارة إلى أن التخلي عن الرذائل قبل التحلي بالفضائل.»[156]

من خلال هذا القول تتجلى لنا قاعدة عامة هي أن الإنسان يجب عليه أن يعترف بألوهية وربوبية الله عز وجل قبل تنفيذ أي أمر أو حكم أو اجتناب أي نهي لأنّ التوحيد هو الركيزة الأساسية التي يقوم عليها بناء الدين والشريعة الإسلامية، لذلك فالله تعالى توعد عباده المشركين بعذاب أليم نتيجة شركهم وكفرهم به « وقد قطع الله تعالى كل الأسباب التي تعلق بها كل المشركون جميعا قطعا يعلم من تأمله وعرفه: أنّ من اتخذ من دون الله وليّا، أو شفيعا، فهو كمثل العنكبوت في قوله تعالى:﴿ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ﴾[157] »[158]

إن الله تعالى قبل أن يوصي عباده بمختلف وصاياه ، أوصاهم ألا يشركوا به شيئا، حيث جاءت قضية التوحيد في صورة موعظة من لقمان الحكيم لابنه في كتاب الله عز وجل، بقوله:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾[159]، حيث فسرها سيد قطب بقوله: وإنّها لعظة غير متهمة؛ فما يريد الوالد لولده إلا الخير؛ وما يكون الوالد لولده إلا ناصحا. وهذا لقمان الحكيم ينهى ابنه عن الشرك، ويعلل هذا النهي بأن الشرك ظلم عظيم. »[160]

د– التوصية بالإيمان بالغيب:

عرّف علماء اللغة الغيب على النحو الأتي:

---

[155]– سورة الأنعام، الآية 151.

[156]– البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 7، ط1، 1995م، ص 316.

[157]– سورة العنكبوت، الآية 41.

[158]– ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج 1، ط 1، د ت، ص 372.

[159]– سورة لقمان، الآية 13.

[160]– سيد قطب، المرجع السابق، ص 3246.

يقول ابن منظور: « الغيب: الشك، وجمعه غياب وغيوب: كل ما غاب عنك أبو إسحاق في قوله:﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[161]؛ أي يؤمنون بما غاب عنهم، مما أخبرهم به النبي صلى الله عليه وسلم، من أمر البعث والجنة والنار. وكل ما غاب عنهم ممّا أنبأهم به، فهو غيب، وقال ابن الأعرابي: يؤمنون بالله. قال: والغيب أيضا ما غاب عن العيون، وإن كان محصلا في القلوب. ويقال سمعت صوتا من وراء الغيب أي من موضع لا أراه. وقد تكرر في الحديث ذكر الغيب، وهو كل ما غاب عن العيون سواء كان محصلا في القلوب، أو غير محصل »[162].

نستخلص من قول ابن منظور أنّ الغيب هو ما غاب عن العيون أي غير مرئي وإن كان موجود في القلب، أو غير موجود، وقد يأتي الغيب بمعاني أخرى مثل: البطن.

ومن التعريفات الاصطلاحية التي وردت لهذه اللفظة نذكر:

قول الراغب الأصفهاني في بيان معنى الغيب: « الغيب: مصدر، غابت الشمس وغيرها: إذا استترت عن العين، يقال: غاب عني كذا قال الله تعالى: ﴿ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴾[163] واستعملت في كلّ غائب عن الحاسة، وعما يغيب عن علم الإنسان بمعنى الغائب، قال: ﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [164] ، ويقال للشيء: غيب وغائب باعتباره للنّاس لا بالله تعالى؛ فإنّه لا يغيب عنه شيء، كما لا يغرب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وقوله: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾[165]، أي ما يغيب عنكم وما تشهدونه، والغيب في قوله:﴿ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾[166]، ما لايقع تحت الحواس و ما تقتضيه بذاهة العقول، وإنّما

[161]- سورة البقرة، الآية 03.
[162]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 5، ص 3322.
[163]- سورة النمل، الآية 20.
[164]- سورة النمل، الآية 75.
[165]- سورة الأنعام، الآية 73.
[166]- سورة البقرة، الآية 03.

يعلم بخبر الأنبياء عليهم السلام، وبدفعه يقع على الإنسان اسم الإلحاد، ومن قال: الغيب هو القرآن، ومن قال: هو القدر، فإشارة منهم إلى بعض ما يقتضيه لفظه، وقال بعضهم: معناه يؤمنون إذا غابوا عنكم »[167]

في حين قال آخر: « الغيب هو العتبة التي يجتازها الإنسان فيتجاوز مرتبة الحيوان الذي لا يدرك إلا ما تدركه حواسه، إلى مرتبة الإنسان الذي يدرك أنّ الوجود أكبر وأشمل من ذلك الحيز الصغير المحدد الذي تدركه الحواس- أو هي الأجهزة التي هي امتداد للحواس »[168].

كما قال محمد الطاهر بن عاشور: « الغيب مصدر بمعنى الغيبة (...) والمراد بالغيب ما لا يدرك بالحواس ممّا أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم صريحا بأنه واقع أو سيقع، مثل وجود الله وصفاته، ووجود الملائكة والشياطين، وأشراط الساعة، وما استأثر الله بعلمه (...) هو ما غاب عن الحس من العوالم العلوية والأخروية (...) فالمعنى حينئذ: الذين يؤمنون بما أخبر الرسول من غير عالم الشهادة كالإيمان بالملائكة والبعث والروح ونحو ذلك. وفي حديث الإيمان (أنّ نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره). وهذه كلّها من عوالم الغيب »[169]

ومن التعريفات الاصطلاحية التي سبق ذكرها، يتبين لنا أن الغيب هو ما لا يدركه الإنسان بحواسه ولا يعلمه وإنّما الله وأنبيائه ورسله هم من أعلمونا به من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

لقد وصّانا الله عز وجل: « وخصّ بالذكر الإيمان بالغيب دون غيره من متعلقات الإيمان لأن الإيمان بالغيب؛ أي ما غاب عن الحس هو الأصل في اعتقاد إمكان ما تخبر به الرّسل عن وجود الله والعالم العلوي، فإذا آمن به المرء تصدى لسماع دعوة الرسول وللنظر فيما يبلغه عن الله تعالى فسهل عليه إدراك الأدلة، وأمّا من يعتقد أنّ ليس وراء عالم الماديات عالم آخر وهو ما وراء الطبيعة فقد راض نفسه على الإعراض عن الدعوة إلى الإيمان بوجود الله وعالم الآخر.»[170]

لقد أوصانا الله عز وجل بالغيب وحثنا على الإيمان والعلم به، لما له من أثر كبير على تصور الإنسان لحقيقة الكون ولحقيقة الوجود كله لأن حقيقة الكون لا تكمن فيما نراه ونعلمه فقط وإنما توجد حقائق مخفية في

[167]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص ص 616-617.
[168]- سيد قطب، المرجع السابق، ص 30.
[169]- ابن عاشور، المرجع السابق، ج 1، ص 229.
[170]- المرجع نفسه، ص 230.

ما وراء الكون لا يعلم بها إلاّ الله وبالتالي فالإيمان بالغيب: « هو نقلة بعيدة الأثر في تصور الإنسان لحقيقة الوجود كلّه ولحقيقة وجوده الذاتي، ولحقيقة القوى المنطلقة في كيان هذا الوجود وفي إحساسه بالكون وما وراء الكون من قدرة وتدبير. كما أنّها بعيدة الأثر في حياته على الأرض؛ فليس من يعيش في الحيز الصغير الذي تدركه حواسه كمن يعيش في الكون الكبير الذي تدركه بديهته وبصيرته (...)، وأن وراء الكون ظاهره وخافيه، حقيقة أكبر من الكون، هي التي صدر عنها، واستمد من وجودها وجوده حقيقة الذات الإلهية التي لا تدركها الأبصار ولا تحيط بها العقول »[171]

2-2-2: المضمون الأخلاقي (التربوي).

من بين مضامين الوصايا في القرآن الكريم المضمون الأخلاقي، فقد اهتمت الوصية بأخلاق الفرد اهتماما كبيرا ودعت إلى أشرف وأفضل الأخلاق التي تؤمن الحياة الهنيئة له، حيث يتفرع عن هذا المضمون جملة من الوصايا نذكر منها:

أ- الوصية بالتقوى.

أوصى الله تعالى عباده بالتقوى فقال:﴿ **وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَإِن تَكۡفُرُواْ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا** ﴾[172]

وقد عرف ابن منظور التقوى التي أصلها اللغوي " وقى " كما يلي:

وقى: وقاه الله وَقْيًا وَوِقَايَةً ووَاقِيَةً: صَانَه وفي الحديث: فوقى أحدكم وجهه النار؛ وقَيْتُ الشيء أَقِيهِ إذا صُنْتَهُ وسَتَرتَهُ عن الأذى.

وتوقى واتقى بمعنى توَقَيْتُ واتَّقَيْتُ الشيء وتَقَيْتُهُ اتَّقِيهِ وأتْقِيهِ تُقاً وتَقيّة وتِقاءاً: حذرته والاسم التّقوى، وقوله تعالى: ﴿ يا أيّها النبي اتق الله ﴾، معناه أثبت على تقوى الله ودم عليه. »[173]

[171]- سيد قطب، المرجع السابق، ص 30.

[172]- سورة النساء، الأية 131.

[173]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 6، ص 4901.

كما عرفها الزمخشري بقوله: « من وقي: وقاه الله كل سوء ومن السوء وقاية، ووقاه توقيته أراد التّوقية. واتقيْتُه وتَوَقَّيْتُهُ، واتّقى الله حقّ تُقاتِه واتقاه وتَقْوَاه، وفيه تُقَيّا: تصغير تقوى. »[174]

لقد اختلفت عبارات العلماء في بيان معنى " التقوى " في الشّرع وإنّ كانت هذه العبارات تكمل بعضها البعض وفيما يلي بيان لبعض أقوالهم:

يقول الراغب الأصفهاني: « التقوى جعل النفس في وقاية ممّا يخاف، هذا تحقيقه، ثم يسمى الخوف تارة تقوى، والتقوى خوفا حسب تسمية مقتضى الشيء بمقتضيه والمقتضي بمقتضاه وصار التّقوى في تعارف الشرع حفظ النّفس عمّا يؤثم، وذلك بترك المحظور، ويتم ذلك بترك بعض المباحات.»[175]

في حين يقول الطاهر بن عاشور: « التقوى الشرعية امتثال الأوامر واجتناب المنهيات من الكبائر وعدم الإسترسال على الصغائر ظاهرا أو باطنا، أي اتقاء ما جعل الله الاقتحام فيه موجبا غضبه وعقابه، فالكبائر كلّها متوعد فاعلها بالعقاب دون اللمم »[176].

والذي يظهر من هذين القولين أنّ التقوى هي ترك المنهي عنه المؤدي إلى عقاب الله تعالى، وهي حبس النفس عن ذلك.

لقد بعث الله سبحانه وتعالى رسله وكان من بين أهدافهم توصية أقوامهم بتقوى الله عزوجل، وذلك متجل في الكثير من المواضع في القرآن الكريم مثل قوله تعالى:﴿ **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ [177] ، وقال أيضا:﴿ **إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ [178] ، وقال أيضا:﴿ **وَإِبۡرَٰهِيمَ إِذۡ قَالَ لِقَوۡمِهِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُۖ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ** ﴾. [179]

وبها أوصى الرسول صلى الله عليه وسلم أمته بقوله: (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطّاعة)[180].

---

[174]- الزمخشري، المرجع السابق، ص 351.

[175]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 881.

[176]- ابن عاشور، المرجع السابق، ج 1، ص 226.

[177]- سورة الشعراء، الآية 108.

[178]- سورة الشعراء، الآية 106.

[179]- سورة العنكبوت، الآية 16.

[180]- ابن أبي عاصم أبو بكر أحمد بن عمر، السنة، تح: باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ج 1، ط 1، 1998 م، ص 704، الحديث (1071)

كما عمل صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوصية التقوى، فلمّا توفي أبو بكر الصديق رضي الله عنه عاهد إلى عمر ووصاه بوصيته، وأول ما قال له: (اتق الله يا عمر ...)[181]

وتقوى الله هي الالتزام بأوامره وتجنب نواهيه وترك الفواحش، والتقوى محلها القلب، يقول محمد رشيد رضا: « اتقوا الله في إقامة سننه وإقامة دينه وشريعته، فإقامة السنن تعلوا معارفكم الإلهية، وترتقي مرافقتكم الدنيوية، وبإقامة الأحكام والآداب الدينية تتزكى أنفسكم وتنتظم مصالحكم الدينية والاجتماعية. »[182]

وللعمل بوصية التقوى الله عز وجل لا بد من معرفة السبل التي توصلنا إليها ومن أهمها: الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وقراءة القرآن...

ب– الوصية بالوفاء بالعهد.

أوصى الله عزوجل عباده المخلصين بالوفاء بعهده وذلك بقوله:﴿ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[183]

وقال أيضا:﴿ وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴾[184]

جاء العهد في لسان العرب بمعنى: «كلّ ما عوهد الله عليه، وكل ما بين العباد من المواثيق، فهو عهد– وأمر اليتيم من العهد، وكذلك كل ما أمر الله به ونهى عنه وفي حديث الدعاء: وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أي أنا مقيم على ما عاهدتك عليه من الإيمان به والإقرار بوحدانيتك (...)، والعهد الوصّية، ومنه الحديث: تمسّكوا بعهد ابن أمّ عبد أي ما يوصيكم به ويأمركم. (...) العهد: التقدم إلى المرء في الشيء، والعهد: الذي يكتب للولاة والعهد الموثق واليمين يحلف بها الرجل (...)، والعهد: الحفاظ ورعاية الحرمة (...)، والعهد: الأمان، والعهد: الالتقاء »[185]

أمّا من الناحية الاصطلاحية :

---

[181]– الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، ط1، 2001، ص 284. الحديث (7125)

[182]– محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج 5، ص 452.

[183]– سورة الأنعام، الآية 152.

[184]– سورة الإسراء، الآية 34.

[185]– ابن منظور، المرجع السابق، مج 4، ص ص 3148-3149.

فيعرفه ابن عاشور بقوله: « أي العهد الذي أمر الله بحفظه وحذر من خترة، وهو العهود التي تنعقد بين الناس بعضهم مع بعض، سواء كان بين القبائل أم كان بين الآحاد. »[186]

وجاء في " تفسير القرآن الحكيم " : « أن توفوا بعهد الله دون ما خالفه وهو يشمل ما عهد الله تعالى إلى الناس، على ألسنة رسله، وبما آتاه من العقل والوجدان والفطرة السليمة، وما يعاهده الناس عليه وما يعاهد بعضهم بعضا في الحق موافقا للشرع. »[187]

ج- الوصية بالعدل في القول.

أوصى الله عز وجل عباده بالعدل في القول فقال: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[188] ، كما وردت التوصية بالعدل في عدة مواضع في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿ اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾[189]

جاء العدل في لسان العرب على النحو الأتي:

يقول ابن منظور: « العدل ما قام في النفوس أنّه مستقيم، وهو ضد الجور. عدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا، وهو عادل (...)، العدل هو الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم (...)، والعدل: الحكم بالحق، (...)، والعدل في القول، قال الله تعالى: ﴿ وإذا قلتم فاعدلوا ﴾؛ والعدل : الفِدْيَةُ »[190]

أما المعنى الاصطلاحي للعدل فقد ورد على النحو الأتي:

فيعرفه الراغب الأصفهاني بقوله: « العدل هو المساواة في المكافأة إن خيرا فخيرا، وإنّ شرا فشرا (...)، ورجل عدل: عادل، ورجال عدل. »[191]

د- الوصية بالنهي عن التكبر.

---

[186]- ابن عاشور، المرجع السابق، ج 8، ص 169.

[187]- محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج 8، ص 192.

[188]- سورة الأنعام، الآية 152.

[189]- سورة المائدة، الآية 08.

[190]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 4، ص ص 2838-2839.

[191]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 552.

أوصانا الله تعالى في كتابه الحكيم ونهانا عن التكبر وذلك بقوله:﴿ **وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ** ﴾. [192]

وقد ورد النهي عن التكبر في مواضع عديدة في القرآن الكريم وذلك لخطورته ومن أمثلة ذلك قوله تعالى في سورة النحل:﴿ **إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ** ﴾[193]

وكذلك قوله في سورة الأعراف: ﴿ **سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ** ﴾. **194**

وقد بين الله سبحانه وتعالى مصير المتكبرين عن عبادته أنهم في الدّركات الدّنيا من جهنم، وفيها يخلدون، فقال في هذا الإطار قال تعالى: ﴿ إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾[195]

وبالتالي نلاحظ أن الله تعالى قد توعد المتكبرين بعذاب أليم، لذلك نهى الله تعالى عباده عن التكبر، وأمر بالتواضع.

هـ- الوصية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

أوصى الله تعالى عباده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وذلك في مواضع كثيرة من كتابه الحكيم كقوله تعالى: ﴿ **وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ** ﴾**196**، وفي موضع آخر قال تعالى :﴿ **وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ** ﴾**197** ، وقال أيضا : ﴿ **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ** ﴾**198** .

---

[192]- سورة لقمان، الآية 18.

[193]- سورة النحل، الآية 23.

[194]- سورة الأعراف، الآية 146.

[195]- سورة غافر، الآية 60.

[196]- سورة لقمان، الآية 17.

[197]- سورة أل عمران، الآية 104.

[198]- سورة أل عمران ، الآية 110.

من خلال الآيات أعلاه نلاحظ أنّ الله تعالى أمرنا بالمعروف وفعل الخير، وفي المقابل نهانا عن المنكر وارتكاب المعاصي، لأنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الخصال الحميدة التي لابد على الفرد أن يتحلى بها من أجل قيام أمة إسلامية ملؤها الحب والأخوة والتماسك.

ومن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويلتزم بوصية الله عز وجل له فضل عظيم ومكانة رفيعة عند خالقه، ومن خالفها فله عذاب أليم، لما ينجر عنها من فواحش وانتشار للفساد، واسترسال العباد في إتباع الشهوات وبالتالي " شيوع " الضلالة وهلاك العباد.

وهذا ما أكده سيد قطب في حديثه عن الأمر والنهي قائلا: « والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليف ليس بالهين ولا باليسير، إذا نظرنا إلى طبيعته وإلى اصطدامه بشهوات الناس ونزواتهم، ومصالح بعضهم ومنافعهم، وعزور بعضهم وكبريائهم، وفيهم الجبار الغاشم وفيهم الحاكم المتسلط وفيهم الهابط الذي يكره الصعود، وفيهم المسترخي الذي يكره الاشتداد، وفيهم المنحل الذي يكره الجد، وفيهم الظالم الذي يكره العدل، وفيهم المنحرف الذي يكره الاستقامة، وفيهم ممن ينكرون المعروف، ويعرفون المنكر، ولا تفلح الأمة ولا تفلح البشرية إلا أنّ يسود الخير، وإلاّ أن يكون المعروف معروفا والمنكر منكرا...، وهذا ما يقتضي سلطة للخير وللمعروف تأمر وتنهى....وتطاع. »[199]

2-2-3- المضمون الاجتماعي:

المجتمع خليط غير متجانس من الأفراد فكل فرد يتسم بمجموعة متباينة من الصفات ينفرد بها والتي تجعله مختلفا بها عن الآخرين وهؤلاء الأفراد تربطهم علاقات اجتماعية عديدة، مما يسهل التواصل فيما بينهم، بطريقة أخلاقية تضبطها قوانين اجتماعية، ومن هنا جاءت وصايا الله تعالى لتضبط العلاقات الاجتماعية بين البشر، وتجعلها قائمة على أساس العدل والمساواة. ومن بين هذه الوصايا الاجتماعية نذكر:

أ- التوصية بصلة الرحم.

أوصى الله تعالى عباده بوجوب صلة الرحم حيث قال:﴿ **وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ** ﴾[200] ، والمرحمة من " الرحمة " حيث قال ابن منظور: « الرحمة: الرقة والتعاطف، والمرحمة مثله، وقد رحمته وترحمت عليه

[199]- سيد قطب، المرجع السابق، ص 524.

[200]- سورة البلد، الآية 17.

وقال الله عز وجل: ﴿ وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾؛ أي أوصى بعضهم بعضا برحمة الضعيف والتعاطف عليه »[201]

كما عرفها اصطلاحا مجموعة من العلماء نذكر منهم:

يقول الجرجاني في حديثه عن الرحمة : « الرّحمة هي إرادة إيصال الخير. »[202]

كما يعرفها الراغب الأصفهاني بقوله: « الرحم: رحم المرأة (...) ومنه استعير الرحم للقرابة؛ لكونهم خارجين من رحم واحدة (...) والرحمة رقة تقضي الإحسان إلى المرحوم (...) الرحمة منطوية على معنيين: الرقة والإحسان، فركز تعالى في طبائع الناس الرقة، وتفرد بالإحسان، فصار كما أن لفظ الرحم من الرحمة فمعناه الموجود في الناس من المعنى الموجود لله تعالى، فتناسب معناهما تناسب لفظيهما »[203].

وانطلاقا من هذه التعريفات نلاحظ توافق المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي، وهو أنّ المرحمة هي الرقة التي تقتضي الإحسان للمحارم (الأقارب).

صلة الرحم من بين الوصايا الاجتماعية التي حثنا عليها الله تعالى، لأنّها من صفات المؤمنين الخيرين التي تقوي الروابط الأسرية في المجتمع، وتعودهم على التراحم والتعاطف. وكما وصّى الله عز وجل عباده بهذه الوصية وأصر عليها، توّعد من يخالفها بعقاب شديد يوم القيامة.

ويقول سيد قطب في هذا الصدد: « التواصي بالمرحمة. فهو أمر زائد على المرحمة. إنه إشاعة الشعور بواجب التراحم في صفوف الجماعة عن طريق التواصي به، والتحاض عليه، وإتخاذه واجبا جماعيا فرديا في الوقت ذاته، يتعارف عليه الجميع »[204]

وهو يقصد من خلال هذا القول أنّ التواصي بصلة الرحم أمر واجب من الله عز وجل لكل فرد من الأفراد الذين يشكلون الجماعة.

ب- الوصية ببر الوالدين.

[201]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 3، ص 1211.
[202]- الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص 95.
[203]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 347.
[204]- سيد قطب، المرجع السابق، ص 4589.

وصى الله تعالى عباده بالبر والإحسان للوالدين آمرا إياهم بذلك وتجلى ذلك في مواضع عديدة في القرآن الكريم لعظمة فضلهم علينا منذ الولادة، حيث قال تعالى : ﴿ **أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ** ﴾[205]،

وقال تعالى في موضع آخر: ﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ** ﴾[206]، كما قال في سورة لقمان:﴿ **وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ** ﴾[207].

من خلال الآيات المذكورة أعلاه نستخلص أنّ: الوصية ببر الوالدين والإحسان إليهما عظيمة، ولها أهمية بالغة في الدين الإسلامي، لأنّ إيمان العبد لا يكتمل إلاّ بها، كونها ترتبط ارتباطا وطيدا بالمضمون العقدي مما جعلها تأتي بعد وصية النهي عن الشرك في وصايا لقمان لابنه.

وفي ضوء ما سبق نلاحظ أنّ الله عز وجل أوجب هذه الوصية وحث على الالتزام بها لأن الإخلال بوصية برّ الوالدين يؤدي إلى تدمير العلاقات الأسرية والعائلية وبالتالي الاجتماعية، وتوعد هؤلاء المخلين بعذاب أليم لأنّ غضب الأب من غضب الرب.

فالوصية ببر الوالدين معناها هو: « أن نكون في غاية الأدب مع الوالدين في القول والعمل، بحسب العرف حتى يكونا مغبوطين بنا وأنّ نكفيهما أمر ما يحتاجان إليه من الأمور المشروعة المعروفة بحسب استطاعتنا، ولا يدخل في ذلك شيء في سلب حريتنا واستقلالنا في شؤوننا الشخصية والمنزلية (...)، فإذا أراد احدهما أو كلاهما الاستبداد في تصرفنا فليس من البّر ولا من الإحسان شرعا أن نترك ما نرى فيه الخير العام أو الخاص، أو نعمل ما نرى فيه الضرر العام أو الخاص، عملا برأيهما وإتباعا لهواهما (...) »[208]

ج– الوصية بالنهي عن القتل بغير حق:

[205]– سورة الأنعام، الآية 151.

[206]– سورة العنكبوت، الآية 08.

[207]– سورة لقمان، الآية 14.

[208]– محمد رشيد رضا، المرجع السابق، ج 5، ص 88.

أوصى الله عباده المخلصين بالنهي عن قتل النّفس بغير حق، وذلك في العديد من المواطن في القرآن الكريم، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [209]

وقد عرف الشريف الجرجاني " القتل " بقوله: « هو فعل يحصل به زهوق الرّوح »[210]، في حين عرفه الراغب الأصفهاني بقوله: « أصل القتل: إزالة الروح عن الجسد كالموت، لكن إذا اعتبر بفعل المتولي لذلك يقال: قتل- وإذا اعتبر بفوت الحياة يقال: موت.»[211]

لقد حرم الله سبحانه وتعالى الاعتداء على النفس بغير حق واعتبره من الكبائر والفواحش، لأن الإنسان خلقه الله تعالى وفضله على جميع مخلوقاته من الكائنات الحية وأكرمه فأخرجه في أحسن صورة وأنعم عليه بطاقات عقلية ونفسية أبعدته كل البعد من دائرة الحيوانية، وهذا ما أكده الله تعالى بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[212]

إن وصية الله تعالى المتضمنة نهي العباد عن قتل النفس بغير حق، لها أهمية بالغة على سلامة أفراد المجتمع، فمن خلالها يتجلى العيش بطمأنينة وآمان، لذلك توعد الله تعالى القاتلين بالخلود في الدّركات السفلى من جهنم، لأن الإخلال بهذه الوصية يؤدي إلى اختلال الأنظمة الاجتماعية، وبالتالي يخضع المجتمع لقانون الغاب الذي ينص على أكل القوي للضعيف.

وإلى جانب العذاب الأخروي وهو الخلود في نار جهنم، وضع الله تعالى عذابا دنيويا ألا وهو " القصاص "، حيث يقول فيه: ﴿ ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ

[209]- سورة الأنعام، الآية 151.
[210]- الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص 144.
[211]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص 655.
[212]- سورة الإسراء، الآية 70.

﴾[213]، والله تعالى حرم القتل تحريما جازما ونهى عن سفك الدماء وإزهاق الأرواح، حيث يقول صغير بن علي ألشمري:

« لقد حرم الله سفك الدماء وإزهاق الأرواح تحريما شديدا إلا ما استثناه الشرع، وهذا يشمل المسلم والكافر والمعاهد والمستأمن وأهل الذمة »[214]

د- وصية النهي عن أكل مال اليتيم.

أوصى الله تعالى في القرآن الكريم بالنهي عن قربان مال اليتيم، بل في المقابل أوجب الحفاظ عليه وحمايته، فيقول جل ذكره: ﴿ **وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ** ﴾[215] ، لذا فعلى كل وصّي أو وليّ أنّ يحفظ ويحمي مال اليتامى من النهب حتى يبلغ اليتيم أشده. لأن اليتيم بطبيعته ضعيف كونه فقد سنده ومعاونيه. يقول سيد قطب " في ظلال القرآن " متحدثا عن اليتيم: « واليتيم ضعيف في الجماعة بفقده الوالد الحامي والمربي ومن تم يقع ضعفه على الجماعة المسلمة على أساس التكافل الاجتماعي، الذي يجعله الإسلام قاعدة نظامه الاجتماعي. »[216]

كما تحدث عن قربان مال اليتيم بقوله: « فعلى من يتولى اليتيم أن لا يقرب ماله إلاّ بالطريقة التي هي أحسن لليتيم، فيصونه وينميه، حتى يسلمه له كاملا ناميا عند بلوغه أشده، أي اشتداد قوته الجسمية والعقلية، ليحمي ماله ويحسن القيام عليه. »[217]

2-2-4: المضمون التعبدي.

أ- الوصية بإقامة الصلاة

[213]- سورة البقرة، الآية 197.

[214]- صغير بن علي الشمري، الوصايا العشر في أخر سورة الأنعام، دار ابن الأثير، د ط، د ت، ص 24.

[215]- سورة الأنعام، الآية 152.

[216]- سيد قطب، المرجع السابق، ص 1458.

[217]- المرجع نفسه، ص 1458.

الصلاة عماد الدين لذلك أوصى الله تعالى عباده بالصلاة والنهي عن تركها، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى :﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [218]

كما قال على لسان عيسى بن مريم عليه السلام:﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴾ [219]

وردت الصلاة في معاجم اللغة العربية بمعاني عديدة نذكر بعضا منها:

يقول ابن منظور: « والصلاة الدعاء والاستغفار. » [220]

أما مفهوم لفظة " الصلاة " في الاصطلاح، فعرفها الشريف الجرجاني بقوله: « الصلاة عبارة عن أركان مخصوصة وأذكار معلومة بشرائط محصورة في أوقات مقدرة ، » [221]

وللعمل بوصية الصلاة فضل كبير على المؤمن، فقد اعتبرها الرسول صلى الله عليه وسلم من أفضل الأعمال والعبادات، فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : أيّ الأعمال أفضل؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أيّ؟ قال: بر الوالدين، قلت: ثم أيّ؟ قال: الجهاد في سبيل الله.[222]

وتارك الصّلاة لا يدخل الجنة بسهولة، وينال عذابا كبيرا في الدنيا والآخرة؛ لأن الصلاة هي أول ما يحاسب عليه المرء يوم القيامة. وهذا ما نستخلصه لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ۝١٩ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ۝٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلۡخَيۡرُ مَنُوعًا ۝٢١ إِلَّا ٱلۡمُصَلِّينَ ۝٢٢ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ ﴾. [223]

ب- وصية إيتاء الزكاة:

[218]- سورة لقمان، الأية 17.

[219]- سورة مريم، الآية 31.

[220]- ابن منظور، المرجع السابق، مج 4، ص 2490.

[221]- الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص 114.

[222]- مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: بن محمد الفريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، ط 1، 2006 م، ص 53، الحديث (137) .

[223]- سورة المعارج، الآية 19-23.

الزكاة ركن من أركان الإسلام وأحد دعائمه، إلى جانب الصلاة، الصوم والحج، ولكبر أثرها أوصانا الله تعالى بإيتائها، ونشهد على ذلك في قوله تعالى:﴿ **وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَوٰةِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا** ﴾[224] .

فالزكاة عند ابن منظور عرفها بقوله: « الزكاة: صفوة الشيء وتزكىّ أيّ تصدّق ».[225]

في حين عرفها الشريف الجرجاني: « الزكاة: عبارة عن إيجاب طائفة من المال في مال محصوص لمالك مخصوص »[226].

ومن هنا يتقاطع المعنى اللغوي مع المعنى الاصطلاحي في بيان مفهوم " الزكاة " باعتبارها تطهير مال المرء وإخراجه إلى غيره، من أجل تصفيته، وزيادة نموه، وفي المقابل إعانة الفقراء ومساعدتهم على عواقب الحياة.

[224]- سورة مريم، الآية 31.

[225]- ابن منظور، المرجع السابق، مج3، ص 1849.

[226]- الشريف الجرجاني، المرجع السابق، ص 99.

الفصل الثاني

الأمر والنهي ودلالتهما البلاغية

يعدّ أسلوبا الأمر والنّهي من أكثر الأساليب استخداما في الأداء الكلامي بين العرب، باعتبارهما أسلوبين بلاغيين لهما دور كبير في تحقيق الاستجابة و الامتثال ، فعلا أو تركا.

1- أسلوب الأمر:

إنّ الأمر من بين الأساليب الإنشائية الطلبية التي وردت بكثرة في القرآن الكريم، إلى جانب النّهي والاستفهام والتّمنّي....الخ، كونه مقترنا بالدّعوة إلى المعروف وفعل الخير، ونظرا لأهميته سنتطرّق إلى مفهومه، وصيغه، وأهم أغراضه كما يلي:

1-1- مفهوم الأمر:

1-1-1- الأمر لغة:

لقد تعدّدت تعاريف الأمر في معاجم اللغة فكلّ يعرّفه حسب وجهته، حيث يعرّفه ابن فارس بقوله: «أمر: الهمزة والميم والرّاء أصول خمسة: الأمر من الأمور، والأمر ضدّ النّهي، والأَمَرُ النَّماءُ والبركة بفتح الميم، والمعلمُ والعجب، (...)، والأمر الذي هو نقيض النّهي قولك اِفعل كذا. قال الأصمعي: يقال: لي عَلَيْكَ أَمْرَةٌ مُطاعة، أي لي عليك أن آمُرك مرّةً واحدةً فتُطيعني.

قال الكِسائي: فُلان يُؤامر نفسيه، أي نفس تأمره بشيء ونفس تأمره بآخر، وقال: إنّه لأَمُور بالمعروف ونهي عن المنكر».[227]

وجاء في معجم لسان العرب قوله: «الأمر: معروف، نقيض النّهي أَمَرَهُ به وأَمَرَهُ (الأخيرة عن كُراع)، وأَمَرهُ إيّاه، على حذف الحرف، يأمُرُهُ أمراً وإمارًا فأْتمر أي قبل أمره (...)، والعرب تقول: أمرتُك أن تفعل ولتفعل وبأن تفعل، فمن قال: أمرتك بأن تفعل فالباء للالتصاق، والمعنى وقع الأمر بهذا الفعل، ومن قال أمرتك أن تفعل فعلى حذف الباء، ومن قال أمرتك. لتفعل فقد أخبرنا بالعلّة التي لها وقع الأمر، والمعنى أُمِرنا للإسلام»[228].

بالإضافة إلى ذلك يعرّفه الفيروز أبادي بقوله: «الأمر: ضدّ النّهي، كالإِمَارِ والإِيْمارِ بكسرهما والآمِرةِ، على فاعلة أَمَرَهُ، وبِهِ، وأَمَرَهُ فأْتَمَرَ، والحادثة، ج: أمور»[229].

---

[227]- ابن فارس، المرجع السابق، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، ص 137.

[228]- ابن منظور، المرجع السابق، ج1، ص 125.

[229]- الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م، ص 344.

كما يشير بطرس البستاني في تعريفه اللّغوي للأمر بقوله: «الأمر: أَمَرَهُ: يأْمُرُهُ أَمْرًا وإِمَارًا وآمِرةً، وآمر به ضدّ نهاه، أو طلب منه إنشاء شيء أو فعله فهو آمرٌ وذَاك مأْمورٌ»[230].

فإذا تمعّنا في هذه التعريفات اللّغوية للكلمة (أمر) نجدها تتّفق على أنّ الأمر هو نقيض النّهي وهو طلب إنشاء الشّيء وفعله.

إنّ لفظة أمر وردت في كثير من كتب اللّغويين والأصوليين والمفسرين والبلاغيين، وذلك لاقترانها بالقرآن الكريم، وفيما يلي نذكر مجموعة من تعاريف هؤلاء العلماء:

يقول المراغي: «الأمر: هو طلب حصول الفعل على جهة الاستعلاء، والاستعلاء هو عدّ الأمر نفسه عاليا سواء أكان عاليا في الواقع أم لا»[231].

كما يعرّفه السّكاكي في مفتاحه بقوله: «الأمر في لغة العرب عبارة عن استعمال نحو: لِيَنْزَلْ، أَنْزَلْ، ونزال وصه، على سبيل الاستعلاء»[232].

أضف إلى ذلك، تعريف القزويني في إيضاحه بقوله: «الأمر: والأظهر أنّ صيغته من المقترن باللاّم نحو: ليحْضُرَ زيدٌ، وغيرها نحو: أكرم عمرا، ورويدا بكرا موضوعة لطلب الفعل استعلاء، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقّف ما سواه على قرينة»[233].

في حين عرّفه عاطف فضل بقوله: «الأمر: هو طلب الفعل بصيغة مخصوصة، وقيل: هو طلب حصول الفعل بصيغة مخصوصة مع علوّ الرّتبة والإلزام»[234].

كما ورد في كتاب علوم البلاغة لأمين أبو ليل قوله: «هو طلب حصول الفعل على وجه الإلزام والاستعلاء، والمقصود بالاستعلاء، هو عدّ الآمر نفسه عاليا، سواء أكان عاليا في الواقع أم مُدّعيا العلوّ»[235].

بالإضافة إلى ذلك، يعرّفه فهد خليل زايد بقوله: «الأمر: طلب الفعل على جهة الاستعلاء، مثل قوله تعالى: ﴿ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[236]»[237].

---

[230]- بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1987م، ص 16.

[231]- المراغي، المرجع السابق، ص 75.

[232]- السكاكي، المرجع السابق، ص 318.

[233]- القزويني، المرجع السابق، ص 116.

[234]- عاطف فضل محمد خليل، تركيب الجمل الإنشائية في غريب الحديث، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2004م، ص 93.

[235]- أمين أبو ليل، علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار البركة، عمّان، ط1، 2006م، ص 81.

[236]- سورة البقرة، الآية 110.

[237]- فهد خليل زايد،الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم،دار النفائس للنشر و التوزيع،عمان،الأردن، ط1، 2008م، ص 261.

وعرّفه آخر بقوله: «الأمر: هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الآمر لنفسه على أنّه أعلى منزلة ممّن يخاطبه، أو يوجّه إليه الأمر، »[238].

ومن خلال كلّ هذه التّعريفات التي قيلت في حقّ الأمر، نستنتج أنّ الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، من منزلة أعلى إلى منزلة أدنى؛ بمعنى أنّ المخاطِب أعلى من المخاطَب.

1-2- صيغ الأمر:

للأمر أربع صيغ أصلية تدلّ عليه، وهي على النحو الآتي:

1-2-1- الأمر بالفعل الصريح:

«أي بفعل الأمر، نحو: أكْرم أبَاك وأمّك، ولا تستعمل إلاّ مع المخاطب فيكون الأمر بها مباشرا من الآمر إلى المأمور، وهو حاضر أو في حيّز الحاضر في المقام»[239]، نحو قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ**﴾[240].

1-2-2- الفعل المضارع المقرون بلام الأمر:

«وينشأ بها الأمر المباشر وكذلك غير المباشر (المأمور غائب ويبلّغ الأمر بواسطة رسالة أو رسول»[241]، كقوله تعالى: ﴿ **ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ**﴾[242]، وقوله أيضا: ﴿**وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ**﴾[243]، كما قال في موضع آخر: ﴿**فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَـٰذَا ٱلْبَيْتِ**﴾[244].

والملاحظ عن الأفعال المضارعة المقرونة بلام الأمر أيضا أنّها: «الدلالة على الأمرية في "لينفق" و"ليكتب" و"فليعبدوا" مستمدّة من اللّام الداخلة على الفعل المضارع بعدها، ولا يصحّ أن يقال في الفعل الذي بعد تلك اللّام إنّه فعل أمر»[245].

---

[238]- عمر عبد الوهاب عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2012م، ص 191.

[239]- المرجع نفسه، ص 283.

[240]- سورة الأنفال، الآية 60.

[241]- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 283.

[242]- سورة الطلاق، الآية 07.

[243]- سورة البقرة، الآية 282.

[244]- سورة قريش، الآية 03.

[245]- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م، ص 22.

أضف إلى ذلك، نجد بأنّ لام الأمر هي «الموضوعة للطلب، تدخل على المضارع، لتؤذن أنه مطلوب للمتكلّم»[246]، كما يذكر السكاكي: «للأمر حرف واحد وهو اللام الجازم في قوله ليفعل»[247].

1-2-3- اسم فعل الأمر:

و من صوره قولك «عليكم بمعنى الزموا، وصه بمعنى أسكت، ومه: بمعنى أكفف، وآمين: بمعنى استجب، وبله بمعنى دع، ورويدك بمعنى تمهّل، وهلمّ بمعنى تعال، وحيّ بمعنى أقبل، و س: بمعنى أسكت، كما يصاغ اسم فعل الأمر من الفعل الثلاثي على وزن "فَعَال"، نحو: حذر: حذار، وترك: تراك، وسرع: سراع، ونزل: نزال، فيقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[248] »[249].

1-2-4- المصدر النائب عن فعل الأمر:

ويقصد بالمصدر النائب عن فعل الأمر أن يجيء الأمر بمصدر يكون نائبا لفعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا ﴾[250]، وتقدير الكلام أحسنوا إليهما، وقوله عزّ وجلّ في موضع آخر: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ﴾[251]، وتقدير الكلام: فاضربوا الرقاب، ومن هنا نستنتج أنّ (إحسانا) و (ضرب) هما مصدران نائبان عن فعل الأمر.

1-3- الأغراض البلاغية لأسلوب الأمر:

إن الأصل في الأمر هو طلب القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، لكن في الكثير من المواضع يخرج معنى الأمر عن معناه الأصلي إلى معاني بلاغية تستخلص من المقام التي يكون عليه المتكلم أو المخاطب فتكون لها عدّة دلالات بعيدة كلّ البعد عن الصيغ الأمرية بحدّ ذاتها، ومن هذه الأغراض نذكر ما يلي:

---

[246]- الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت، ص 349.

[247]- السكاكي، المرجع السابق، ص 152.

[248]- سورة المائدة، الآية 105.

[249]- عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 191.

[250]- سورة النساء، الآية 36.

[251]- سورة محمد، الآية 04.

1-3-1- الدعاء:

«ويقصد به الطلب الذي يكون من منزلة أدنى إلى منزلة أعلى كدعاء العبد لربّه، نحو قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾[252]»[253].

«والدعاء: الطلب على سبيل التضرع والخضوع، ويكون في أسلوب الأمر إذا صدر من الأدنى إلى الأعلى منزلة، كما في قوله عزّ وجلّ: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ۝٢٥ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ۝٢٦ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ۝٢٧ يَفْقَهُواْ قَوْلِي ۝٢٨ وَٱجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ۝٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ۝٣٠ ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِي ۝٣١ وَأَشْرِكْهُ فِيٓ أَمْرِي﴾[254]»[255]، فالأمر في هذه الآية الهدف منه هو : التضرع إلى الله والتوجه غليه بالدعاء «وسر التعبير بأسلوب الأمر في مقام الدعاء في الآية الكريمة هو إظهار كمال الخضوع لله عزّ وجلّ وبيان شدة الرغبة في تحقيق تلك الأفعال، حتى كأنها أمور مطلوبة من الله جلّ وعلا»[256].

1-3-2- الالتماس:

«وهو طلب نظير من نظيره نحو قولك لصديقك أعطني القلم»[257].

ويقال أيضا أن الالتماس: «يكون بصدور صيغة الأمر من ندّ إلى ندّ كقولك لمن يساويك:أعطني القلم أيّها الأخ»[258].

زيادة على ذلك فإنّ «الالتماس يكون لمن هو بمستوى القائل في الشأن نفسه، أو هو طلب الفعل الصادر عن الأنداد والنظراء المساوين في المنزلة والقدر.»[259]، حيث قال امرؤ القيس في مطلع معلقته:

---

[252]- سورة النمل، الآية 19.

[253]- ينظر: محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 284.

[254]- سورة طه، الآية 25-31.

[255]- بسيوني عبد الفتاح فيود، المرجع السابق، ص 364.

[256]- المرجع نفسه، ص 364.

[257]- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 284.

[258]- عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2004م، ص 30.

[259]- حميد آدم ثويني، البلاغة العربية: المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007، ص 90.

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل[260]

وفي هذا الإطار نجد كذلك بأن الالتماس هو «الأمر بين المتساويين في القدر والمنزلة، وبخاصة الأمر بين الأصدقاء أو الإخوة أو من هم بمنزلتهم، وذلك نحو قول محمود سامي البارودي

يا خليلي خلياني وما بي أو أعيدا إلي عهد الشباب[261]»

نلاحظ من خلال هذا البيت الشعري أن سامي البارودي يخاطب أصدقاءه وخلانه ويأمرهم التماسا دون استعلاء بإعادة شبابه، لأن الصديق لا يأمر صديقه إلزاما واستعلاء، وإنما يلتمس منه فعل شيء من باب الالتماس والتلطف، مراعاة للصداقة الموجودة بينهما.

وهنا تبرز جمالية وأثر استعمال أسلوب الأمر بطريقة الالتماس لأنه يوحي بمدى انفعال الشاعر وسيطرة مشاعره وحنينه لعودة الشباب.

1-3-3- النصح والإرشاد:

وقد يرد الأمر لغرض النصح والإرشاد، كما في قوله تعالى: ﴿**يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ**﴾[262]، ففي هذه الآية الكريمة فالله تعالى يرشد ابن لقمان على لسان أبيه بإقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الشدائد، فهذه النصيحة تؤدي إلى مرضاة الله عز وجلّ.

وفي ضوء ما سبق، نبرز سر وبلاغة استعمال أسلوب الأمر للنصح والإرشاد بأنه «تلك الأوامر التي ترد على ألسنة الوُعاظ والمرشدين والموجهين، فهم يريدون منها النصح والإرشاد، أن يعبروا عما يضمرونه من حبّ وإخلاص لأتباعهم، وهذا هو سرّ التعبير بأسلوب الأمر في مقام الإرشاد والنصح»[263].

والأمر في مقام النصح والإرشاد هو: «الطلب الذي لا تكليف ولا إلزام فيه، وإنما هو طلب يحمل بين طياته معنى النصيحة والموعظة والإرشاد»[264].

---

[260]- امرؤ القيس، المرجع السابق، ص 8.

[261]- عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 193.

[262]- سورة لقمان، الآية 17.

[263]- بسيوني عبد الفتاح فيود، المرجع السابق، ص 366.

[264]- عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 78.

ونضرب مثالا آخر متجسدا في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُ﴾[265].

ويفسر الأمر في هذه الآية «كتابة صكوك الدين ليس فرضا أو واجبا، ولكن الأمر الرباني في (فاكتبوه) من باب النصيحة والإرشاد»[266].

الأمر الموضوع لغرض النصح والإرشاد هو «طلب خال من كلّ تكلّف وإلزام، يحمل بين طياته النصح والإرشاد نحو قول أحد الحكماء لابنه: (يا بنيّ استعذ بالله من شرار الناس، وكن من خيارهم على حذر)، فالوالد هنا لا يأمر ولده، ولا يستعلي عليه ولا يلزمه، لأن المقام ليس مقام أمر وإنما يقدم له في أسلوب معين، أي خلاصة تجربة إنسانية عاشها»[267].

وبالتالي فالأمر بغرض النصح والإرشاد له أثر وجمالية بلاغية كبيرة في الخطاب القرآني وكذا في كلام العرب من شعر ونثر.

1-3-4- الإباحة:

الأمر لغرض الإباحة يستعمل في كثير من الأحيان عندما «يتوهم المخاطب حظر الإتيان بالشيء، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِ﴾[268]»[269].

نلاحظ من خلال قوله تعالى: أنه يتيح الأكل والشرب، حتى يحين وقت الفجر أثناء الصيام، وبالتالي فصيغة الأمر هنا لم توضع إلزاما واستعلاء وإنما وضعت للإباحة.

وقوله أيضا:﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[270].

ولتوضيح هذا نجد أن غرض الإباحة يتوهّم فيه السامع حضر شيء عليه كقولك: جالس الحسن وابن سيرين، فليس المراد هنا طلب الفعل استعلاء ولكن لما كان السامع يتوهّم عدم جواز الجمع بين مجالستهما لما كان

---

[265]- سورة البقرة، الآية 282.

[266]- عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص196.

[267]- إبراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 27.

[268]- سورة البقرة، الآية 187.

[269]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني، البيان، البديع، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، دط، 1993م، ص 255.

[270]- سورة الجمعة، الآية 10.

بينهما من سوء المزاج، أباح المتكلم له مجالسة أيهما شاء، فالأمر –كما ترى– يفيد الإباحة، حيث يبيح للسامع أن يجالس أحد العالمين أو كليهما أو لا يجالس، وليس ملزما له بفعل شيء»[271].

فمن خلال المثال الذي طرح نستخلص أن المتكلم، لم يأمر السامع إلزاما واستعلاء مع العلم أن الإلزام والاستعلاء من أصول الصيغة الأمرية، وإنما أمره ليبيح له بمجالسة الحسن وابن سرين، لما كان يتوهم عدم جواز ذلك.

1–3–5– التهديد:

إن التهديد من بين الأغراض البلاغية الواردة بكثرة في الخطابات الأدبية والقرآنية لاسيما تلك التي جاءت بصيغة الأمر، فيستعمل غرض التهديد في مقام عدم الرضا بالمأمور به[272].

كقول الله عز وجل: ﴿**ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ**﴾[273].

فالفعل (اعملوا) جاء بصيغة الأمر لكنه يحمل بين طياته دلالة بلاغية وهي التهديد، فالله سبحانه وتعالى من خلال هذه الآية يهدد الكافرين، بأنه يرى كل شيء فليعملوا ما شاءوا، لكن ذلك الأمر لم يكن أمرا حقيقيا بل أمرا مجازيا.

وقوله أيضا في موضع آخر: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ**﴾[274]، فمن خلال هذه الآية الكريمة نلاحظ أن الفعل تمتعوا هو فعل بصيغة الأمر لكن معناه ليس أمرا حقيقيا، وإنما تهديد ووعيد من الله عز وجلّ لعباده المشركين بدخول النار والخلود في جهنم.

«ولعلّك لاحظت أن المأمور به في غرض التهديد يكون غير مرغوب به، فهو الأمر بشيء لا يرغبه المتكلم»[275].

---

[271]– –بسيوني عبد الفتاح فيود، المرجع السابق، ص 357.

[272]– ينظر: عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي، المرجع السابق، ص 30.

[273]– سورة فصلت، الآية 40.

[274]– سورة إبراهيم، الآية 30.

[275]– عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 195.

1-3-6- التعجيز:

يتجلّى غرض التعجيز «حين تستعمل الصيغة في سياق إظهار عجز المدعي، كقوله تعالى: ﴿**فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ**»[276]، فالفعل (فأتوا) هو فعل أمر يدل على تعجيز الكافرين بالإتيان بمثل القرآن الكريم، لأنهم لم ولن يقدروا على ذلك. «فليس المراد بالأمر في الآية الكريمة التكليف والإلزام بالإتيان بسورة من مثله، وإنما المراد إظهار عجزهم عن الإتيان لأنهم إن حاولوا ذلك الإتيان بعد سماع صيغة الأمر بدا عجزهم وظهر»[277].

وتكمن جمالية غرض التعجيز الوارد بصيغة الأمر في بيان قوة وقدرة الخالق وعجز الآخرين عن المثول أمامه في شتى الأمور ، بالإضافة إلى « إبراز قوة التحدي والتسجيل عليهم ليتّعضوا ويقلعوا عما هم فيه من عناد ومكابرة»[278].

أضف إلى ذلك قوله تعالى في آية أخرى من آيات الذكر الحكيم: ﴿**هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ**﴾[279].

(فأروني) هو فعل ورد بصيغة الأمر غير الحقيقي؛ لأنه لم يتطلب الاستعلاء والإلزام، وإنما دل على قوة التحدي في إبراز مقدرة الله عز وجل وعجز الكافرين أمامه، وهنا يتجسد عجز من يدعي القدرة على فعل أمر ما، وليس في وسعه ذلك.

كذلك نجد بأن بلاغة التعجيز للأمر في القرآن الكريم تكمن في «أن الكفار لا يخفى عليهم أنهم لا يقدرون على الإتيان بسورة مثل القرآن، ولا بآية واحدة فالأمر يفيد إظهار عجزهم عن ذلك، وكشف عجز المخاطب عن فعل شيء بواسطة الأمر أبلغ من بيان عجزه بواسطة الجملة الخبرية، وكذلك يتجلى غرض التعجيز للأمر حينما تأمر شخصا بعمل شيء وأنت تعلم أنه لا يقدر عليه»[280].

---

[276]- سورة البقرة، الآية 23.

[277]- البسيوني فيود، المرجع السابق، ص 360.

[278]- المرجع نفسه، ص 360.

[279]- سورة لقمان، الآية 11.

[280]- ينظر: عمر عبد الهادي عتيق، المرجع السابق، ص 196.

1-3-7- التخيير:

«ويكون في مقام التخيير شيئين أو أشياء بحيث يختار منها السامع ما يميل إليه ويرغب فيه، كما في قول بشار بن برد:

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرّة ومجانبه»[281]

فهذا البيت الشعري ينصّ على أن الشاعر يخير السامع بين أمرين اثنين، الأول هو العيش وحيدا ومنعزلا بعيدا عن أخاه، والثاني هو صلة الأخوة بأن يصل أخاه مهما اقترف فيه من ذنوب.

والعديد من العلماء والكتّاب يفرّقون بين "الإباحة" و "التخيير" وهذا الفرق يكمن في أن «التخيير لا يجوز فيه الجمع بين الشيئين، والإباحة تجوزه ففي الإباحة إذن بالفعل وإذن بالترك»[282].

وعلاوة على ذلك فإن الفرق بين الإباحة والتخيير يتجسد في أن الإباحة إذن في الفعل وإذن في التركيب فهي إذنان معا، أما التخيير فهو إذن في إحداهما من غير تعيين ولذا فالتخيير لا يجوز الجمع بين الشيئين والإباحة تجوزه...، فالأمر في قولك تزوج هندا أو أختها للتخير ولا يصحّ أن يكون للإباحة، إذ لا يجوز الجمع بين الأختين»[283].

ومن خلال الأمثلة أعلاه نستخلص أن غرض التخيير بصيغة الأمر له أثر بلاغي كبير في تحقيق رغبة السامع واختياراته المتوافقة مع ميولاته.

1-3-8- الإهانة:

«تتحقّق الإهانة بصيغة الأمر في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور، وبدون قصد من الآمر إلى فعل ما أمر به والمأمور به في الإهانة يكون خسيسا أولا، وغير مقدور عليه ثانيا»[284]، كقوله تعالى: ﴿**قُلۡ كُونُواْ حِجَارَةً أَوۡ حَدِيدًا**﴾[285].فتوجيه الأمر هنا بقصد استصغار الكافرين والإقلال من شأنهم وقلة المبالاة بهم.

---

[281]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 358.

[282]- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 286.

[283]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 358.

[284]- عبده العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط4، دت، ص 150.

[285]- سورة الإسراء، الآية 50.

1-3-9 التحقير:

ويكون بتوجيه الأمر إلى المخاطب بقصد استصغاره والإقلال من شأنه وقيمته والازدراء به وتبكيته[286]، نحو قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[287].

ويفسر هذه الآية بسيوني فيود بقوله: «الكافر لا يمكنه الذوق لأنه يعاني غصص العذاب وآلامه ومحنه، وتلك حال لا يستطيع فيها أن يذوق إلا الحميم، ولا يخفى عليك ما وراء أسلوب الأمر من الإهانة والتحقير والتهكم والاستهزاء، بهؤلاء الذين انحرفوا عن الحق وحاذوا عن المنهج القويم، وتنبعث تلك السخرية من قوله تعالى: ﴿إنك أنت العزيز الكريم﴾، فهي استعارة تهكمية، إذ لا عزة ولا كرامة وإنما ذلة ومهانة»[288].

1-3-10- التسوية:

تستعمل صيغة الأمر الدالة على التسوية بين الشيئين «في سياق يتوهّم المخاطب فيه رجحان أحد الطرفين المتساويين»[289]، أي يتوهموا أن أحد الشيئين أرجح من الآخر كقوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[290].

ومن خلال هذه الآية نلاحظ التسوية بين الصبر من عدمه في عدم النفع وذلك دفعا لما قد يتوهم من أن الصبر نافع للمشركين في هول يوم القيامة[291].

فالله سبحانه وتعالى يقول للكافرين: ذوقوا عذاب جهنم التي كنتم تكذبون بها فاصبروا على آلامها وشدتها أو لا تصبروا، فيومئذ تجزون ما كنتم به تكفرون.

1-3-11- التمني:

التمني من بين الأغراض البلاغية التي ترد في صيغة الأمر، «ويكون في مقام طلب الشيء المحبوب الذي لا قدرة للطالب عليه ولا طمع له في حصوله.....»[292]، كقول امرئ القيس:

---

[286]- طالب محمد اسماعيل الزويعي، البلاغة العربية علم المعاني، بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ط1، 1997، ص 350.

[287]- سورة الدخان، الآية 49.

[288]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 362.

[289]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 255.

[290]- سورة الطور، الآية 16.

[291]- ينظر: بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 362.

[292]- المرجع نفسه، ص 363.

ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل

فالشاعر في هذا البيت لا يأمر الليل وإنما استعمل أسلوب الأمر (انجلي)، ومريدا به التمني، فالتمني هو طلب الأمر المحبوب إلى القلب سواء لكونه مستحيلا أو لكونه غير ممكن وقوعه.

وفي هذا الصدد يقول الله عز وجلّ: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾[293]، فالمشركون هنا يتمنون من الله تعالى بأن يخرجهم من النار وذلك باستعمال صيغة الأمر، مع علمهم أن هذا الطلب مستحيل الحدوث، ولا طمع لهم في نيله والحصول عليه، ولكنه تمن فقط.

ويترتب على ذلك إن دلالة التمني تكمن في أنه الطلب الذي لا يرجى وقوعه، أو هو طلب أمر محبوب لا يرجى الحصول عليه لاستحالته، أو لتعذّر تحققه»[294].

ويستشهد عن ذلك بيت شعري لعنترة بن شداد أثناء مخاطبته ديار عبلة فيقول فيه:

«يا دار عبلة بالجواء تكلمي وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فديار عبلة لن تتكلم مهما طال الزمن، ومهما أمرها الشاعر، وعنترة يدرك ذلك وهو في تعبيره لا يقصد الأمر- في حقيقة معناه- وإنما يتمنى أن تسمع وتنطق وتطيع، لعله يفضي إليها بما يكوي فؤاده، فتخبر هي عبلة الحبيبة بما رأت وسمعت»[295].

ومن خلال الأمثلة أعلاه تتجلى بلاغة وسر استعمال الأمر في مقام التمني.

1-3-12- الامتنان والشكر:

ويقصد به عندما نستعمل صيغة الأمر في مقام إظهار الفضل والامتنان وإسداء الشكر والعرفان للطرف الآخر تقديرا له[296]، ومثال ذلك قوله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلاً طَيِّبًا﴾[297]، وقوله أيضا: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا﴾[298].

[293]- سورة المؤمنون، الآية 107.

[294]- ابراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 27.

[295]- المرجع نفسه، ص 27.

[296]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 256.

[297]- سورة النحل، الآية 114.

[298]- سورة البقرة، الآية 35.

1-3-13- الإكرام:

حيث يتبين لنا أن «صيغة الأمر الدالة عن الإكرام تستعمل في سياق بيان الأهلية والاستحقاق»[299]، كقوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾[300]، و يعني ذلك «أنهم لما صاروا في الجنات، فإذا ما انتقلوا من بعضها إلى بعض يقال لهم عند الوصول إلى التي أرادوا الانتقال إليها (ادخلوها)، إكراما لهم وحفاوة بهم، ورفعا من شأنهم، وإعلاء لمنزلتهم»[301].

وبالتالي فصيغة الأمر في الآية الكريمة جاءت بقصد الإكرام للمؤمنين ورفعا من شأنهم وتعزيزا وحبا لهم، وهذا الأسلوب زاد الآية جمالا وبلاغة.

1-3-14- التأديب:

من بين الأغراض البلاغية التي يدل عليها الأمر: التأديب وهذا الأخير يكون «لتهذيب الأخلاق والعادات نحو : كل مما يليك»[302].

1-3-15- الدوام:

الدوام يأتي حين تستعمل الصيغة الأمرية في شيء مطلوب بشرط أن يكون حاصل عند الطلب[303]، كقوله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾[304]، والمقصود بالآية دوام الهداية إلى الصراط المستقيم، فليس المراد بالأمر الهداية وإنما الغرض الدوام عليها.

1-3-16 التسليم:

«يتحقق إذا جاءت بصيغة الأمر بمعنى التفويض»[305]، كقوله تعالى: ﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾[306]، معنى الآية

---

[299]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 256.

[300]- سورة الحجر، الآية 46.

[301]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 366.

[302]- أحمد مصطفى المراغي، المرجع السابق، ص 76.

[303]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 256.

[304]- سورة الفاتحة، الآية 06.

[305]- عبده عبد العزيز قلقيلة، المرجع السابق، ص 151.

افعل ما تشاء وقوله أيضا في مضرب آخر: ﴿ثُمَّ ٱقۡضُوٓاْ إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ﴾[307]، أي اعملوا ما كنتم تعملون أي ما أنتم بصدده.

1-3-17- التعجب:

تدل صيغة الأمر على التعجب إذا استعملت في سياق الاستغراب، كقوله تعالى: ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾[308]، وإذا تمعنا في الآية الكريمة نجد صفة الاستغراب والتعجب طاغية عليها.

إن الصيغ التي ذكرناها ليست على سبيل الحصر بل على سبيل التمثيل فهناك صيغ كثيرة لها مدلولات بلاغية عديدة ومن هذه الدلالات نجد مثلا: الندب، التلهف، التحسر، الخبر، التكوين، التفويض، التكذيب، المشورة.....الخ.

لذلك سنكتفي بتعداد هذه الأغراض فقط مع ذكر مثال لكل واحدة منها،:[309]

أ- الوجوب مثل قوله تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾[310].

ب- الندب: مثل قوله تعالى: ﴿ فَكَاتِبُوهُم ...﴾[311].

ج- الإنذار: مثل قوله تعالى: ﴿ تَمَتَّعُواْ...﴾[312].

د- التسخير: مثل قوله تعالى: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[313].

هـ- القدرة، مثل قوله تعالى: ﴿ كُن فَيَكُونُ﴾[314].

---

[306]- سورة طه، الآية 72.

[307]- سورة يونس، الآية 71.

[308]- ينظر: عيسى على العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 257.

[309]- ينظر: فهد خليل زايد، المرجع السابق، ص 265.

[310]- سورة الإسراء، الآية 78.

[311]-سورة النور، الآية 33.

[312]- سورة هود، الآية 65.

[313]- سورة البقرة، الآية 65.

[314]- سورة يس، الآية 82.

2- النهي:

بعد الانتهاء من التفصيل في أسلوب الأمر وإبراز أغراضه البلاغية سنتطرق الآن إلى الشق الثاني لدراستنا ألا وهو النهي، مبرزين بذلك أهم مباحثه المتمثلة في المفهوم والصيغة والغرض البلاغي.

2-1- مفهوم النهي:

2-1-1- تعريف النهي لغة:

لقد وردت لفظة النهي في أغلب المعاجم اللغوية العربية، فكل لغويّ يعرفها بأسلوبه الخاص لكنها تصبّ في معنى واحد وإن اختلفت طرق التعبير.

حيث يقول ابن منظور في لسان العرب معرفا النهي: «النهي خلاف الأمر، نَهَاه يَنهَاهُ نَهيًا، فانتهى وتناهى: كفّ (...)، ونفس نهاةٌ: منتهية عن الشيء، وتناهوا عن الأمر وعن المنكر: نهى بعضهم بعضا»[315].

فمعنى النهي عنده هو الكف عن فعل الشيء، وهو ضدّ الأمر.

أما الفيروز أبادي فيعرفه بقوله: «النهي: نهاه ينهاه، نهيا: ضد أمره، فانتهى وتناهى، وهو نَهْوٌ عن المنكر أمور بالمعروف، والنُّهية بالضمّ، الاسم منه»[316].

في حين أن ابن فارس قد عرف النهي بقوله: «النون والهاء والياء أصل صحيح يدل على غاية وبلوغ، ومنه أنهيت إليه الخبر: بلغته إياه، ونهاية كل شيء غايته، ومنه نهيته عنه وذلك لأمر يفعله»[317].

وبالتالي فالنهي عند ابن فارس من خلال تعريفه الموضح أعلاه هو طلب فعل الأمر، إذا نهيته.

2-1-2- تعريف النهي اصطلاحا:

يعرف النهي عند البلاغيين على أنه: «كل أسلوب يطلب به الكف عن الفعل على جهة الاستعلاء والإلزام، فيكون من جهة عليا ناهية إلى جهة دنيا منهية»[318]، مثال ذلك قولنا: لا تفعل السوء، لا تقل للوالدين

[315]- ابن منظور، المرجع السابق، مج6، ص 4564.

[316]- الفيروز أبادي، المرجع السابق، ص 1341.

[317]- ابن فارس، المرجع السابق، ص 359.

أف، وخير شاهد على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[319] ففي الآية الكريمة التي استشهدنا بها نهي يدل على طلب الكف عن قتل الأولاد من الجوع كون الله يرزق الوالدين و إياهم، فالطفل عندما يولد يولد رزقه معه.

و قال عز و جل في موضع آخر: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا﴾[320]، فالله ينهانا عن إفساد الأرض بعد إصلاحها.

ويقول آخر في حد النهي: «النهي هو طلب الكف عن الفعل استعلاءً»[321]، ويقصد بالاستعلاء هنا ضربان اثنان هما: حقيقي وادعائي، فالحقيقي كقول السيد لعبده لا تفعل كذا، أي من الأعلى درجة إلى الأدنى درجة، أما الإدعائي كقول العبد لسيده، لا تفعل كذا متعاظما ومدعيا ذلك[322].

ويفصل الراغب الأصفهاني في المعنى الاصطلاحي للنهي بقوله: «النهي: الزّجر عن الشيء، قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ [العلق/9-10]، وهو من حيث المعنى لا فرق بين أن يكون بالقول أو بغيره، وما كان بالقول فلا فرق بين أن يكون بلفظة افعل نحو: اجتنب كذا، أو بلفظة لا تفعل، ومن حيث اللفظ هو قولهم: لا تفعل كذا، فإذا قيل: لا تفعل كذا. فنهي من حيث اللفظ والمعنى جميعا[323].

وإذا تمعنا في هذا المفهوم نجد أن الراغب الأصفهاني يستبدل كلمة الكف بكلمة الزجر، التي تعني في المعاجم العربية المنع والنهي، إذا فهي تصب في المعنى الوارد لدى أغلب البلاغيين والمتمثل في أن النهي هو الكف أو الزجر عن فعل الشيء استعلاءا، وهو خلاف الأمر الذي يمثل طلب فعل الشيء على وجه الاستعلاء والإلزام.

2-2- صيغة النهي:

[318]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 372.

[319]- سورة الأنعام، الآية 151.

[320]- سورة الأعراف، الآية 56.

[321]- عيسى علي العاكوب وعلي الشتيوي، المرجع السابق، ص 258.

[322]- ينظر: المرجع نفسه، ص 258.

[323]- الراغب الأصفهاني، المرجع السابق، ص826.

كما هو متعارف عند الجميع أن النهي له صيغة صرفية واحدة في اللغة العربية، وهي صيغة لا تفعل، وقد أشار إلى ذلك مجموعة من اللغويين والبلاغيين العرب في كتبهم حيث ثبت ذلك أن: «للنهي صيغة واحدة هي الفعل المضارع المقرون ب "لا" الناهية، كقول الله تعالى ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾[324].

و النهي يدل أصلا على طلب الإقلاع عن الفعل طلبا جازما ملزما وتدل مع ذلك على الفور والاستمرار، ويستشهدان على ذلك بمثال وهو قولك لمن يشرب الخمر، لا تشرب الخمر، يستدعي منه أن يكف في الحال، ويستمر كافا عنها، ولا يعد ممتثلا إذا كف في الحال ثم عاد إليها أو إذا استمر في شربها ثم كف عنها وامتنع بعد ذلك عنها[325].

وصيغة النهي "لا تفعل" تستعمل في سياق الكف عن فعل الشيء إلزاما واستعلاء، كما تستعمل لأداء معان مجازية أخرى بعيدة عن الإلزام، نحو: الدعاء، الالتماس، التمني..الخ.

2-3- الأغراض البلاغية لأسلوب النهي:

النهي مثله مثل الأمر قد يخرج من معناه الحقيقي إلى معانٍ مجازية عديدة تفهم من سياق الكلام؛ وبالتالي فالنهي المجازي هو الذي يفتقد شرط الاستعلاء والإلزام، ومن المعاني البلاغية للنهي، نذكر ما يلي:

2-3-1- الدعاء:

يتجلى غرض الدعاء عندما تكون صيغة النهي صادرة من الأدنى إلى الأعلى درجة[326]، أو من الصغير إلى الكبير، ومن الضعيف إلى القوي، ومن مخلوق إلى خالق[327]،- كما أشرنا سابقا في الأمر-، ومثال ذلك قول العبد لربه تضرعا: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾[328]، فهذه الآية الكريمة احتوت على صيغة النهي في ثلاثة مواضع هي: لا تؤاخذنا، لا تحمل، لا تحمّلنا، وهي صيغ تدل على الدعاء والخضوع لله عز وجل تضرعا وتذللا، بعيدة كل البعد عن الاستعلاء والإلزام.

---

[324]- سورة الحجرات، الآية 12.

[325]- ينظر: عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 258، ص 258.

[326]- ينظر: بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 372.

[327]- إبراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 32.

[328]- سورة القرة، 286.

فالمسلمون كثيرا ما يستعملون هذه الصيغة للتخاطب مع الله والدعاء إليه بالرحمة والغفران، ويشير بسيوني فيود إلى أثر هذه الصيغة بلاغيا قائلا: «سر التعبير بصيغة النهي في مقام الدعاء في الآية الكريمة هو بيان رغبة هؤلاء المؤمنين في أن يتجلى الله عليهم بالرحمة والغفران وإظهار كمال ضراعتهم وتذللهم إلى الله جل وعلا»[329].

ويقول الله تعالى في موضع آخر من كتابه: ﴿**رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا**﴾ فالمؤمن عندما يرفع يديه لله عز وجل ويقول هذا الكلام فهو لا يقصد نهي الله تعالى أن يزيغ قلوب المسلمين بعد أن هداهم إلى الحق، وإنما دعاءا له وتضرعا يحمل معنى التوسل والتذلل،وإن جاء ذلك بصيغة النهي (لا تفعل ⟵ لا تزغ) وهذا ما أعطى التعبير جمالا وبلاغة وقوة تأثير.

2-3-2- الالتماس:

قد يدل النهي عن الالتماس، ويقصد به ذلك النهي «الموجه من نظير إلى نظيره كقولك لصديقك: لا تتوان في طلب العلى»[330]، أو كما يقول في حقه أحمد مطلوب: «الالتماس يكون صادرا من أخ لأخيه، أو صديق إلى صديقه»[331]، وبالتالي يتضح لنا الالتماس أنه لا يشترط الأدنى أو الأعلى وإنما يكون من المساوي في الدرجة كالنهي بين الإخوة والأصدقاء والأنداد، كقولك لصديقك مثلا لا تفعل كذا.

وقد ورد هذا النهي في القرآن الكريم على لسان هارون عليه السلام عندما كان يخاطب أخاه موسى عليه السلام، فقال: ﴿**قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيَّ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيَ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي**»[332] فالنهي في هذه الآية إنما المراد به الالتماس لأنه نهي من الأخر لأخيه، والأخوان متساويان في الدرجة، ولا يوجد بينهما إلزام واستعلاء، فهارون يلتمس من أخيه هذا النهي لأنهما متساويان في الرتبة والمنزلة، ويكمن السر البلاغي وراء التعبير بصيغة النهي في مقام الالتماس في الآية الموضحة أعلاه بيان استعطاف هارون لأخيه موسى وترقيق قلبه.

ويستشهد فيود عن النهي في مقام الالتماس بقول المتنبي في سيف الدولة:

---

[329]- ينظر: بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 272.

[330]- محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، المرجع السابق، ص 290.

[331]- أحمد مطلوب، المرجع السابق، ص 117.

[332]- سورة طه، الآية 94.

«فلا تبلغاه ما أقول فإنه شجاع متى يذكر له الطعن يشتقي

فهو يلتمس من صاحبيه أن يكتما عن سيف الدولة ما يقوله في وصف شجاعته وحسن بلائه في الحروب»[333]، مشيرا هذا الأخير إلى سبب التعبير بهذا الأسلوب في هذا المقام بالذات فيقول: «قد عبر المتنبي بأسلوب النهي في هذا المقام مقام الالتماس، إظهارا لشدة حرصه على كتمان هذا الأمر عن سيف الدولة وفي ذلك ما فيه من تهويل وتفخيم لشجاعته وقوة فتكه بأعدائه»[334].

فالالتماس إذا يقوي التعبير ويجعله أكثر سلاسة وجزالة عند وروده بصيغة النهي "لا تفعل".

2-3-3- النصح والإرشاد:

ويقصد بالنهي في هذا المقام النهي «الذي يراد به توجيها من ذوي البصر والخبرة بالأمور إلى من هم في حاجة إليه»[335].

كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾[336]، فالمراد من الآية الكريمة ليس الاستعلاء والإلزام وطلب الكف عن الشيء، وإنما يفيد النصح والإرشاد والتوجيه إلى ما هو أحسن، فالله سبحانه وتعالى استعمل أسلوب النهي في هذا الموضع لنصح الذين آمنوا وتوجيههم بأن لا يسألوا عن الأشياء التي تسيء لهم عند العلم بها.

فهذا الغرض يتجلى عندما يحمل النهي بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد والتوجيه نحو قول الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من إجابته السكوت

فإذا أمعنا النظر في هذا البيت نجد الشاعر ينهى القارئ عن مجاراة السفيه والأخذ والعطاء معه، بل وينهاه عن إجابته وينصحه بالسكوت خير من الرد، إذا فصيغة النهي هنا أفادت النصح والإرشاد.

ويقول شاعر آخر:

---

[333]- بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 373.

[334]- المرجع نفسه، ص 373.

[335]- أمين أبو ليل، المرجع السابق، ص 88.

[336]- سورة المائدة، الآية 101.

ولا تجلس إلى أهل الدنايا فإن خلائق السفهاء تعدي

فالشاعر في هذا البيت ينصح المخاطب ويرشده بالابتعاد عن السفهاء وعدم مجالسة أهل الدنايا وأهل الدنايا هم أهل العيب والنقيصة. وصيغة النهي هنا جاءت لبيان رغبة الشاعر وحرصه الشديد على قبول نصيحته والامتثال لها من طرف المخاطب، وذلك على سبيل المثال النصح والإرشاد. وهنا يكمن الأثر البالغ الذي يحدثه النهي في تبليغ النصيحة للطرف الآخر، واستعمال هذه الصيغة في هذا المقام يزيد الكلام بلاغة وجمالا وقوة تأثير في المخاطَب.

2-3-4- التمني:

كذلك يستعمل النهي لغرض التمني، والتمني كما سبق وأن أشرنا هو طلب الشيء المحبوب إلى القلب إذا كان مستحيل الوقوع. وهذا الغرض نجده جليا في قول الشاعرة الخنساء عندما كانت ترثي أخاها خرا:

أعينيّ جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى؟

فهي تتمنى أن لا تبخل عيناها بإذراف الدموع على أخيها صخرا، من شدة حزنها وألمها على فقدانه، فاستعملت صيغة النهي في موضعين اثنين هما: لا تجمدا، لا تبكيان، على سبيل التمني بعيدا كل البعد عن الإلزام والاستعلاء.

ويستشهد بسيوني فيود عن غرض التمني بصيغة النهي بقول الشاعر:

يا ليل طل يا نوم زل يا صبح قف لا تطلع

فإذا تمعنا في هذا البيت نجده غني بالأساليب الإنشائية من نداء وأمر ونهي حيث يقول بسيوني فيود أن الشاعر في هذا البيت يتمنى أن يطول الليل وأن يذهب من عينيه النوم كما يتمنى من الصبح عدم الطلوع والوقوف كما هو. وذلك لكي يطول لقاءه بحبيبته ويطول الحديث معها طول الليل، وتمنيه هذا مستحيل لأنه من المحال.

وقوف الصبح وعدم طلوعه ولكن الشاعر لرغبته الشديدة في الاجتماع بحبيبته تمنى المستحيل، باستخدام صيغة النهي التي أضافت رونقا وجمالا للبيت وهي "لاتطلع" لدرجة نهي الصبح على الطلوع وهذا سر بلاغة الأساليب الإنشائية في الأدب[337].

2-3-5- التحقير والإهانة:

[337]- ينظر: بسيوني فيود، المرجع السابق، ص 374.

يستعمل النهي أيضا لغرض التحقير والإهانة كما في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾[338] فصيغة "لا تكلمون" تفيد التحقير والإهانة والتقليل من شأن الكافرين الذين ضلوا في الحياة الدنيا ثم جاءوا يوم القيامة يتمنون من الله الخروج من النار فأهانهم الله سبحانه وتعالى، وتوعدهم بالخلود فيها ونيل العذاب الشديد.

وقد ورد التحقير بصيغة النهي كذلك في كلام العرب خاصة الشعر منه حيث يقول الحطيئة في الزربقان بن بدر:[339]

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فالمراد بصيغة "لا ترحل" في البيت المذكور أعلاه هو تحقير المخاطب وإهانته والتقليل من شأنه وقدراته، وتبيان عجزه وفشله في تحقيق مكارم الأخلاق، ويأمره بذلك على القعود وانتظار الطعام والكساء من المتصدقين.

في ضوء ما سبق نلاحظ أن صيغة النهي التي تفيد التحقير والإهانة لها أثر كبير في تحقيق ذلك وإيصال المعنى المراد المتمثل في الحط من قدرة المخاطب والاستهانة به بطريقة بلاغية سلسة أعطت التعبير قوة وجمالا ورونقا أدبيا.

2-3-6- بيان العاقبة:

وقد فصل في هذا الغرض كل من عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي بقولهما: «بيان العاقبة حين ترد الصيغة في سياق الدعوة إلى التبصر وإدراك حقائق الأمور»[340]، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾[341].

وفي هذه الآية الكريمة بيان لعاقبة الشهداء والذين قاتلوا في سبيل الله وقتلوا، أنهم ليسوا أمواتا بل أحياء عند الله عز وجل فعاقبتهم الخلود في الجنان ونيل الدرجات العليا فيها.

فصيغة النهي في الآية أعلاه، أفادت بيان العاقبة فجاءت الآية معجزة بلفظها ومعناها، وتركت أثرا كبيرا في نفوس قارئيها، لما لها من قوة التأثير المتجلي من صيغة النهي.

---

[338]- سورة المؤمنون، الآية 108.

[339]- عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص 87.

[340]- عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، المرجع السابق، ص 261.

[341]- سورة آل عمران، الآية 169.

2-3-7- الترجي:

الترجي غرض من الأغراض البلاغية التي يفيدها النهي في القرآن الكريم وكلام العرب، وقد ورد كثيرا في القرآن الكريم نحو ما جاء على لسان امرأة فرعون في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾.[342]

فالآية الكريمة تشير إلى مشهد من مشاهد قصة موسى عليه السلام وهو في المهد بعد أن ألقت به أمه في البحر، فالنهي في قوله "لا تقتلوه" أفاد الترجي، بمعنى أن زوجة فرعون قد ترجته بأن لا يقتله ويتخذه ولدا ينتفع به، واستخدمت في إقناعه أسلوب رقيق فيه إثارة عاطفة الأبوة والرحمة والشفقة في قلبه بقوله: «قرة عين لي ولك»[343]، وهنا يتضح لنا مدى جمالية أسلوب النهي في التعبير عن الرجاء.

2-3-8- التسوية:

يفيد النهي في الكثير من المواضع التسوية، ويقصد بها في اصطلاح البلاغيين «عندما تكون في مقام يتوهم فيه المخاطب رجحان أحد الطرفين»[344].

ونجد ذلك جليا في قول الله عز وجل مخاطبا الكفار: ﴿ٱصۡلَوۡهَا فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[345]، فإذا تمعنا في هذه الآية نجد أن الله تعالى يرجح إما الصبر أو عدمه فكلاهما لا يخففان عنهم عذاب يوم القيامة وذلك على سبيل التسوية.

2-3-9- التهديد:

أسلوب التهديد من بين الأساليب التي اعتمدها الله سبحانه وتعالى للوصول إلى النفس البشرية والتأثير فيها لما ينتج عنها من الخوف والرهبة وبالتالي تدفع المرء إلى اجتناب المعاصي والمضي في طريق الحق المستقيم.

---

[342]- سورة القصص، الآية 9.

[343]- ينظر: يوسف عبد الله الأنصاري، "أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرار البلاغة"، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1990م، ص 315.

[344]- ا ينظر: يوسف عبد الله الأنصاري ، لمرجع السابق، ص 318.

[345]- سورة الطور، الآية 16.

والنهي من بين الصيغ التي أفادت التهديد في الخطاب القرآني لاسيما أنه يدعو إلى الكف عن فعل المنكرات واجتناب المعاصي والذنوب، وخير مثال على ذلك قوله سبحانه وتعالى: «**وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ٱئْتُونِى بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ۚ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّىٓ أُوفِى ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ**»[346]، فهذه الآية الكريمة جاءت على لسان سيدنا يوسف عليه السلام مخاطبا إخوته مهددا إياهم حيث توعدهم بعدم الكيل لهم إن لم يحضروا أخاهم إليه، فالنهي هنا أفاد التهديد والوعيد بصيغة "لا تقربون" فهذه الأخيرة أضفت على التعبير جمالا وبلاغة وقوة تأثير وتحقيق الغرض من التهديد.

2-3-10- التهويل والتفظيع:

من المعاني البلاغية التي يفيدها النهي في القرآن الكريم التهويل والتفظيع نحو قوله تعالى في سورة البقرة: «**إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ**»[347]، فصيغة النهي في هذه الآية الكريمة أفادت التهويل والتفظيع وذلك ببيان ما سيقع فيه الكفار من العذاب الشديد في الجحيم فنعتهم بأصحاب الجحيم تهويلا.

2-3-11- التوبيخ:

كما في قوله تعالى: «**لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ**»[348]، فيتضح فيها التوبيخ بكل وضوح فالله سبحانه وتعالى يوبخ الساخرين.

والتوبيخ في المعاجم العربية يقصد به: اللوم على خطأ أو تصرف بغية ردعه وإصلاحه.

ويتجلى غرض التوبيخ باستعمال صيغة النهي «عندما يكون المنهيّ عنه أمرا لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه»[349].

2-3-12- التحذير:

[346]- سورة يوسف، الآية 59، 60.

[347]- سورة البقرة، الآية 119.

[348]- سورة الحجرات، الآية 11.

[349]- عبد العزيز عتيق، المرجع السابق، ص ص 86-87.

قد تفيد صيغة النهي غرض التحذير؛ والمقود به تنبيه المخاطب الغافل حتى يتجنب خطرا يهدده، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَإِنۡ أَرَدتُّمُ ٱسۡتِبۡدَالَ زَوۡجٖ مَّكَانَ زَوۡجٖ وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـٔٗا**﴾[350]، فـ"لا تأخذوا" هي صيغة النهي التي أفادت التحذير من أخذ حقوق الزوجة بعد طلاقها وسلبها أموالها وممتلكاتها وهذا التعبير بهذه الصيغة زاد المعنى قوة وجمالا وتأثيرا في قلوب العباد.

2-3-13- التيئيس:

ويتضح هذا الغرض في هذا المقام إذا كان النهي يقصد به قطع الأمل وفقدانه تماما فيما يرغب فيه ويتمناه وذلك بعد فوات الأوان فيصاب المرء بعدها بالإحباط وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ**﴾[351].

فالله سبحانه وتعالى يقر بعدم جدوى الاعتذار بعد الكفر وأنه لن يتوب عنهم مهما فعلوا، فهو يقطع عنهم الأمل بالغفران والتواب ويتوعد المنافقين بالعذاب الشديد والخلود في جهنم، وليس أمامهم إلا الجزاء على كفرهم وضلالهم.

2-3-14- التقرير:

يتحقق التقرير باستعمال صيغة النهي وذلك نحو قوله تعالى: ﴿**لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ**﴾[352]، حيث جاء في تفسير القرآن الكريم لابن كثير أن صيغة النهي "لا تبديل" بمعنى أن هذا الوعد لا يبدل ولا يخلف ولا يتغير مهما فعل الكافرون لأنه مقرر مثبت كائن لا محالة من عند الله عز وجل ولا يقبل التحريف[353].

وإلى جانب الأغراض البلاغية التي عددناها أضاف الأصوليون بعض الأغراض التي يخرج إليها النهي نذكر منها:

---

[350]- سورة النساء، الآية 20.

[351]- سورة التوبة، الآية 66.

[352]- سورة يونس، الآية 64.

[353]- ينظر: ابن كثير، المرجع السابق، ج2، ص 542.

أ– **التحريم**: وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾[354]، ومثلها ورد في الآية الواحدة والخمسون بعد المائة من سورة الأنعام.

ب– الكراهة: اختلفت تسميته عند العلماء بين الكراهة والكراهية والتنزيه، وخير مثال ورد فيه النهي في مقام الكراهية ما جاء في الذكر الحكيم ﴿**وَلَا تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ**﴾[355].

ج– التسلية: نحو قوله عز وجل: ﴿**وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ**﴾[356].

د– التصبير: نحو قوله عز وجل: ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾[357].

في ضوء ما سبق، نلاحظ أن النهي هو الآخر يخرج من معناه الحقيقي المتمثل في الكف عن القيام بالفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، إلى معانٍ بلاغية أخرى تفهم من سياق الكلام وقرائن الأحوال، وهذا المبحث كثير ما اهتم به البلاغيين ،فلا يخلو مؤلف بلاغي من الحديث عن الدلالات البلاغية للنهي، وكذا الأمر، كونهما من الأساليب الإنشائية التي وردت بكثرة في القرآن الكريم وسر بلاغتهما يكمن في أنهما يؤثران في النفس الإنسانية ويغوصان بها إلى ما وراء المعنى اللغوي المتمثل في معنى المعنى.

وبعد التفصيل في كل من مباحث الأمر والنهي يمكن أن نقوم بدراسة مقارنة بينهما نبرز فيها أوجه التشابه وأوجه الاختلاف الحاصلة بينهما ويمكن أن نلخصها في النقاط التالية:

أ– أوجه التشابه:

1– المعنى الحقيقي للأمر والنهي مبني على أساس الإلزام والاستعلاء.

2– الأمر والنهي غالبا موجه للغير؛ فلا يمكن للمرء أن يكون آمرا لنفسه أو ناهيا وإنما يأمر وينهى المخاطب أو الطرف الآخر.

3– كل من الأمر والنهي لهما معانٍ بلاغية يخرجان إليها، فلا يكتفيان بالمعنى الحقيقي، بل يوجد أمر مجازي (بلاغي)، ونهي مجازي (بلاغي).

---

[354]– سورة الإسراء، الآية 33.

[355]– سورة الأنعام، الآية 121.

[356]– سورة النمل، الآية 70.

[357]– سورة التوبة، الآية 40.

ب- أوجه الاختلاف:

1- الأمر هو طلب فعل الشيء أما النهي فهو طلب الكف عن فعل الشيء وبالتالي فهما يختلفان في المعنى اللغوي والاصطلاحي.

2- لكل واحد منهما، صيغة صرفية تختلف عن الأخرى فالأمر يجيء بصيغته (افعل)، أما النهي فصيغته هي (لا تفعل).

3- صيغة الأمر متعددة وهي: الأمر بالفعل الصريح، الفعل المضارع المقرون بلام الأمر، اسم فعل الأمر، المصدر النائب عن فعل الأمر. أما النهي فله صيغة واحدة هي: الفعل المضارع المقرون ب "لا" الناهية.

وفي هذا السياق الخاص بأوجه الاختلاف أشار عبود السامرائي إلى اختلافين اثنين آخرين هما:[358]

1- إن الأمر لابد فيه من إرادة مأموره، وأن النهي لا بد فيه من كراهية منهيه.

2- إن النهي يقتضي الفور والتكرار وليس الأمر كذلك.

[358]- ينظر: إبراهيم عبود السامرائي، المرجع السابق، ص 31.

الفصل الثالث

الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان

1- التعريف بسورتي الأنعام ولقمان:

1-1- سورة الأنعام

1-1-1- تعريفها:

تعد سورة الأنعام من سور القرآن العظيم المكية بالاتفاق، باستثناء آيات يسيرة منها، فعن ابن عباس رضي الله عنه قال: «أن ستّ آيات منها نزلن بالمدينة، ومن هذه الآيات نجد الآيات: (20، 91، 93، 111 145، 151)»[359]، وهي السورة السادسة في ترتيب المصحف،ومناسبتها للمائدة تفصيلها لآخر آية فيها، مع تفصيلها لما أجمل في المائدة من تحريم ما أحل اللّه[360]، عدد آياتها (165)عند القراء الكوفيين، و (166) عند البصريين والشاميين، و(167) عند الحجازيين[361]، كما تعد من سور السبع الطوال، التي تقيم قواعد الإيمان على أسس ثابتة وأسلوب يتسم بالحوار الحي مع المشركين فيما يعتقدونه من عقائد باطلة[362].

هذه السورة التي نزلت جملة واحدة بعد سورة الحجر، مشيعة بالملائكة[363]، فن ابن عباس رضي الله عنه قال: «نزلت سورة الأنعام جملة بمكة ليلا وحولها سبعون ألف ملك يَجأرُون حولها بالتسبيح»[364]، وسميت هذه السورة بسورة "الأنعام"، نتيجة لكونها السورة الوحيدة التي تعرضت لذكر الأنعام، على تفصيل لم يرد في غيرها من السور،فقد ورد ذكر الأنعام في مواضع عدة، من القرآن ولكن دون تفصيل، أما سورة الأنعام فقد تكرّر فيها لفظ الأنعام ستّ مرّات، وجاءت بحديث طويل عنها، استغرق خمس عشرة آية، من أول الآية من قوله تعالى: ﴿**وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا**﴾[365]، إلى آية وهي قوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ**﴾[366].....الخ[367].

---

[359]- ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، المرجع سابق، ص 123.

[360]- محمد بن عبد العزيز بن نصيف، بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م، ص 38.

[361]- محمد رشيد رضا، المرجع سابق، ص 283.

[362]- عفيف عبد الفتاح طبّارة، روح القرآن: تفسير سورة الأنعام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت، ص07.

[363]- محمد بن عبد العزيز بن نصيف، المرجع سابق، ص 39.

[364]- ابن كثير، المرجع سابق، ص 676.

[365]- سورة الأنعام، الآية 136.

[366]- سورة الأنعام،الآية 139.

[367]- منيرة محمد ناصر الدّوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، دت، ص 186.

ذلك لأن أكثر أحكامها الموضّحة لجُهالات المشركين اللاتي يتقربن بها إلى أصنامهم مذكورة فيها[368]، وإلى جانب ذلك تسمى أيضا بسورة "الحجّة"، إذ عُلّل تسميتها بذلك على كونها مقصور على حُجّة النّبوّة «الحجّة على الكفار وتقرير العقيدة»[369]، ويظهر هذا واضحا في تكرار لفظة الحجّة في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ﴾[370]، وآية قوله عز وجل: ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ ۖ﴾[371].

وعلاوة على ذلك، فقد كرّس الحديث في هذه السورة عن قضية واحدة لا تتغير، لكن الأسلوب في عرضها لا يتكرّر ألا وهي قضيّة العقيدة، قضية التّوحيد الذي يعنى بتوحيد الله توحيدا خادما عن طريق النظر إلى قدرة الله عز وجلّ وملكوته في الكون[372]، فهي أكثر سورة تشعرك بمحبة الله من خلال استشعار عظمته و قدرته في الكون، بمعنى أن محورها يدور حول التّوحيد وأصول الإيمان، كما افتتحت هذه السورة بالشّكر والثّناء على اللّه مبدع هذا الكون جليّ في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾[373].

واختتمت بالتذكير بعقاب اللّه السّريع للعُصاة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[374]، لكي تكون الفكرة في نهاية السورة موصولة ببدايتها مع التذكير بمغفرة اللّه ورحمته لمن تاب إليه وأطاعه[375]، كما تقع سورة الأنعام في الجزء الرّابع عشر، محصورة بين سورة المائدة والأعراف في ترتيب المصحف الشريف.

1-1-2- أسباب نزولها:

أثناء بحثنا بين طيات الكتب محاولين إيجاد أسباب نزول سورة الأنعام لم نجد سببا واضحا موحدا لكل آيات السورة، وإنما وجدنا أسباب نزول بعض من آياتها فقط، فلخّصناها في ثمانية نقاط كالتالي:

---

[368]- الصابوني محمد علي، صفوة التفسير، مج1، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1976م، ص 377.

[369]- الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، دط، دت، ص 187.

[370]- سورة الأنعام، الآية 83.

[371]- سورة الأنعام، الآية 149.

[372]- نور محمد مؤيّد الجندلي، رَوح وريحان في موضوعات القرآن الكريم (طريقة لتسهيل حفظ القرآن عن طريق الإلمام بمضمون السور)، دط، 2004م، ص 30.

[373]- سورة الأنعام، الآية 1.

[374]- سورة الأنعام، الآية 165.

[375]- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 09.

«الصّراع مع الكفّار واليهود ومسيلمة الكذّاب، ومن افترى على اللّه كذبا، وواحد آخر يتعلّق بتربية المؤمنين»[376]، حيث رُوي أنّ مشركي مكّة قالوا: يا محمد واللّه لا نؤمن لك حتّى تأتينا بكتابات من عند الله، ومعه أربعة من الملائكة يشهدون أنّه من عند اللّه، وأنّك رسول فأنزل الله[377]: ﴿**وَلَوۡ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ كِتَٰبٗا فِي قِرۡطَاسٖ فَلَمَسُوهُ بِأَيۡدِيهِمۡ لَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ**﴾[378]، وقال تعالى: ﴿**وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ**﴾[379]، فعن قتادة قال: «كان المسلمون يسبّون أوثان الكفّار فيردّون ذلك عليهم، أي يسبّ الكفّار ربّهم تبارك وتعالى، فأنزل الله تعالى الآية، لأنهم قوم جهلة لا علم لهم بالله»[380].

وقال اللّه عز وجلّ في موضع آخر في هذه السورة: ﴿**قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ**﴾[381]، فعن علي رضي الله عنه أنّ أبا جهل قال للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم: إنّا لا نكذّبك وإنّك عندنا لصادق، ولكن نكذّب بما جئت به، فأنزل الله فيهم هذه الآية[382].

وفي قوله تعالى: ﴿**قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَ**﴾[383]، فهذه الآية الكريمة نزلت في مسيلمة الكذّاب الحنفي، الذّي كان يسجع ويتكهّن، ويدّعي النبوّة ويزعم أن الله أوحي إليه....الخ[384].

1-1-3- موضوعاتها:

هذه السّورة عظيمة، وكل سور القرآن عظيمة، ولكن هذه السّورة تمتاز بتنوّع موضوعاتها ودقّة معالجتها لأمور شتّى، تختلف في أهدافها ومقاصدها عن السور المدنية التي سبق الحديث عنها، كالبقرة، آل عمران، النساء والمائدة[385]، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان، ويمكن أن نجملها فيما هو آت:

---

[376]- محمد بن عبد العزيز بن نصيف، المرجع سابق، ص 41.

[377]- الصابوني محمد علي، المرجع سابق، ص 377.

[378]- سورة الأنعام، الآية 07.

[379]- سورة الأنعام، الآية 108.

[380]- النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، أسباب نزول القرآن، تح: أحمد صقر، دط، دت، ص 2017.

[381]- سورة الأنعام، الآية 33.

[382]- النيسابوري، المرجع السابق، ص 211.

[383]- سورة الأنعام، الآية 93.

[384]- النيسابوري، المرجع السابق، ص 215.

[385]- عفيف عبد الفتّاح طبارة، المرجع السابق، ص 05.

قضية الألوهية، وقضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والجزاء، وهي أصل في محاجة المشركين وغيرهم من المبتدعين ومن كذّب بالبعث والنّشور، وهذا ما يقتضي إنزالها جملة واحدة من الحجّة[386].

أمّا عن مضامين هذه السورة فنجدها تعرض موضوعاتها وفق أسلوبين هما[387]:

الأول: "أسلوب التّقرير"إذ تعرض الأدلّة المتعلّقة بتوحيد اللّه والدّلائل المنصوبة على قدرته وسلطانه وقهره.

الثاني: "أسلوب التّلقين" ويظهر جليّا في تعليم الرّسول صلّى اللّه عليه وسلّم تلقين الحجّة ليقذف بها في وجه الخصم، فلا يستطيع التخلّص أو التّفلّت منها، وهكذا تتعرّض السورة الكريمة لمناقشة المشركين وإفحامهم بالحجج الساطعة الّتي تقوم ظهر الباطل وتدحض كلّ مزعم كافر.

ومن هنا نخلص إلى القول بأن "سورة الأنعام" من السور المكّية ذات الشّأن في التركيز على الدّعوة الإسلامية، تقرّر حقائقها، وتثبت دعائمها، إذ تذكر توحيد اللّه جلّ وعلا في الخلق والإيجاد، وكذلك في التّشريع والعبادة، وموقف المكذّبين للرسل والمشركين باللّه تعالى مع تصوير أحوالهم يوم الحشر، ثمّ تبسط كلّ هذا التّنبيه إلى الدّلائل.

وإلى جانب هذا، فقد اشتملت هذه السّورة على جملة من المواضيع والتّوجيهات الإلهية نذكر منها على سبيل الذّكر لا الحصر[388]:

– دعوة النّاس إلى النّظر في معالم الكون وما فيه من دلالات على عظمة الخالق، وجلاله ووحدانيته وانتفاء الشّريك عنه.

– توجيه الأنظار إلى عجائب خلق اللّه في السّماء والأرض، وإنبات الثّبات في الجامد اليابس من الأرض، وانفلاق الحبّ والنّوى عن نبات الشّجر.

– بيان الحلال الّذي أحلّه اللّه من الأطعمة وبيان الحرام منها، وظلال المشركين فيما حرّموه على أنفسهم من غير أن يعتمدوا على دليل وبرهان من اللّه فيما ذهبوا إليه.

---

[386]– عبد الحميد بوترعة، صور ودلالات الالتفات في سورة "لأنعام"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 5، 2013م، ص 152.

[387]– الصابوني محمد علي، المرجع السابق، ص 376.

[388]– عفيف عبد الفتّاح طبارة، المرجع السابق، ص 08.

– بيان عناد المشركين وعدم استجابتهم لرسول الله صلّى اللّه عليه وسلّم، وأنّهم وصلوا في الجحود إلى أنّهم لو نزل عليهم كتاب من عند اللّه، فلمسوه بأيديهم لرفضوه وقالوا إنّه سحر مبين.

– مواساة رسول اللّه صلّى اللّه عليه وسلّم لما يلقاه من قومه من إعراض وأذى وسخرية بذكر ما لاقاه الرّسل قبله من أذى من أقوامهم، وكيف حلّ بهم الهلاك جزاء ذلك.

– تسفيه المشركين بما كانوا يفعلون من قتل أولادهم، بسبب الفقر وغير ذلك.

– بيان أنّ دين اللّه واحد لا يجوز التّفرقة فيه، وأن الّذين يسعون فيه بالتّفرقة وإنشاء المذاهب المختلفة، هم بريئون من دين اللّه.

– كلّ إنسان يجزى بأعماله، فلا يحمل أحد خطيئة غيره ولا ينجو المسيء من العذاب بحسنات غيره.

– رسم معالم الدّين الحقّ ومناهج السّلوك الفاضل، بإقامة الصلاة وتقوى اللّه وترك الإثم ظاهره وباطنه.

– تبيان أنّ سعادة الأمم بطاعة رسول اللّه وإتّباع هديهم وشقاوتها بانتشار الظّلم والفساد في الأرض.

وبناء على ما سبق ذكره في هذه السّورة الكريمة والحكيمة وفي عظمة آياتها، نخلص إلى القول أنّ اللّه سبحانه وتعالى أنزل سورة الأنعام على عباده في الأرض، وذلك لبيان أحكام تتعلّق بما هو حلال وما هو حرام و في بيان وحدانية اللّه عزّ وجلّ في ذاته وصفاته، وفي التّوجّه إليه بالعبادة وحده لا شريك له، وأيضا في توجيه رسالته إلى خلقه بواسطة رسله الّذين جاءوا بالهدى من عند ربّهم، كما أنّ في جوهرها أصول البرّ والأخلاق الحميدة والآداب الكاملة.

وزيادة على هذا، فقد اشتملت هذه السّورة بعد ذلك في ربع كامل على الوصايا العشر المشهورة من اللّه عزّ وجلّ إلى عبده ملخّصة على النّحو التالي:

أ– الوصيّة الأولى: نبذ الشّرك باللّه

والدليل قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ۖ ﴾[389] لأنّ الشّرك بالله وليد الجهل والوهم، فهو بجانب مناقضته للعقل، والمنطق أنّه يجعل الإنسان تحت تأثير الانحرافات والأساطير التي تهدم كيانه، وتجعله في حيرة لا يجد السبيل إلى الخلاص منها، بجانب ما يقوم به من شعائر وتكاليف ترهقه لا يجني منها نفعا[390].

[389]– سورة الأنعام، الآية 151.

[390]– عفيف عبد الفتّاح طبارة، المرجع السابق، ص 138.

وهذا يعني أنّ تحريم الشّرك فيه إلزام بالتّوحيد، بالّذي لا إله ولا حاكم ولا مشرّع إلاّ هو سبحانه وتعالى في عبادته، وتوحيده توحيدا شاملا في ربوبيته، وألوهيته، وأسمائه، وحتى صفاته توحيدا خالصا.

ب- الوصية الثّانية: البرّ بالوالدين والنّهي عن عقوقهما.

حيث قال جلّ وعلا في نفس الآية: ﴿ **وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا** ﴾[391]، فالإسلام قد شدّد وأمر ببرّ الوالدين والإحسان إليهما، وسموّ منزلتهما ورفعة قدرهما بالاحترام والطاعة والتّقدير، ذلك أنّ الوصيّة ببرّ الوالدين فيها اقتران دائم بعبادة اللّه وشكره.

ج- الوصية الثالثة: النهي عن قتل الأولاد.

حيث ورد النّهي عن قتل الأولاد هنا بقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖ**﴾[392]، والمقصود بالإملاق: الفقر، باعتبارها أمور واقعية عند العرب أيّام الجاهلية، إذ أنّهم كانوا يدفنون أبناءهم خشية الفقر، كما كانوا يئدون بناتهم خشية العار، فبيّن القرآن الكريم فساد ذلك في قوله تعالى: ﴿**نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡ** ﴾[393] ، فإذا كان اللّه كفل رزق الوالد فهو أيضا كفل رزق أولاده، فلا يوجد إنسان ذو فطرة سليمة يرضى بقتل ولده، لأنّه إن فعل ذلك كان أحط درجة من الوحوش الكاسرة، ودلّ ذلك على انعدام الرّحمة في قلبه[394].

د- الوصية الرابعة: تحريم اقتراف الفواحش.

لقوله تعالى: ﴿**وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ** ﴾[395]، أي لا تواقعوها، أو لا تدنوا منها، ولكن اجعلوا بينكم حجابا من الحلال، فالنهي عن قربان الفواحش أبلغ من النهي عن مجرّد فعلها، لأنّه يتناول النّهي عن مقدّماتها كافّة ووسائلها الموصلة إليها[396].

---

[391]- سورة الأنعام، الآية 151.

[392]- سورة الأنعام، الآية 151.

[393]- سورة الأنعام، الآية 151.

[394]- عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 140.

[395]- سورة الأنعام، الآية 151.

هـ- الوصية الخامسة: تحريم قتل النّفس بغير بالحقّ.

قال تعالى: ﴿**وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ**﴾[397]، بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى قد حرّم سفك الدّماء وإزهاق الأرواح تحريما شديدا إلاّ ما استثناه الشّرع: االثيب الزّاني، والنّفس بالنّفس.....الخ.

و- الوصية السادسة: النّهي عن أكل مال اليتيم.

حيث قال اللّه في وصيّة للنّاس: ﴿**وَلَا تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ**﴾[398] فقد جاء النّص القرآني بعبارة بليغة الدلالة على ذلك، فنهى عن الاقتراب من مال اليتيم فضلا عن أكله إلاّ في الحالات الّتي تكون أحسن لليتيم بما فيه المصلحة له، باعتبار أنّ أكل مال اليتيم بغير حقّ هو من كبائر الإثم كما أنّه لا يعطى له المال حتّى يدرك سنّ البلوغ ويتحقّق رُشده، وهو أن يُحسن التّصرّف بماله سالكا مسلك العقلاء، لا مسلك أهل السّفه والتبذير[399].

ز- الوصية السابعة: الوفاء بالكيل والميزان.

قال الله تعالى: ﴿**وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ**﴾[400]، فقد أمر الله سبحانه وتعالى بإيفاء الكيل والوزن بالعدل بحيث يعطي صاحب الحق حقه من غير نقصان ولا بخس، هذا وإن الدّقّة في الكيل والميزان التي تحقّق العدل المطلق قد لا تدخل تحت كسب الإنسان وقدرته لذا رفع اللّه الحرج في ذلك بقوله: ﴿**لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا**﴾[401]، فلا يكلّف اللّه البائع أن يعطي المشتري أكثر من الحقّ الّذي له، ولم يكلّفه الزّيادة لأنّ الزّيادة

---

[396]- ثائر علي الحلاّق وآخرون، رياض الزّهر: في تدبّر الوصايا العشر في القرآن الكريم، تح: أيمن عبد الحميد خطاب وآخرون، فريق البحث العلمي، سوريا، دط، دت، ص 44.

[397]- سورة الأنعام، الآية 151.

[398]- سورة الأنعام، الآية 152.

[399]- عفيف عبد الفتّاح طبارة، المرجع السابق، ص 142.

[400]- سورة الأنعام ، الآية 152.

[401]- سورة الأنعام، الآية 152.

تضيق نفسه بها، ولم يلزم المشتري الرّضا بأقلّ من حقّه لما في النّقصان من ضيق نفسه بها، بل أمر كلا من البائع والمشتري بإيفاء الحقّ لصاحبه دون زيادة أو نقصان وللبائع أن يزيد ما يشاء[402].

ح- الوصية الثامنة: العدل في القول والفعل.

لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾[403]، أي وإذا حكمتم بين النّاس فتكلّمتم فقولوا الحقّ بينهم، واعدلوا وأنصفوا ولا تجوروا، ولو كان الذي يتوجّه الحقّ عليه والحكم ذا قرابة لكم، ولا يحملنّكم قرابة قريب أو صداقة صديق حكمتم بينه وبين غيره أن تقولوا غير الحقّ فيما احتكم إليكم فيه[404].

بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يأمرنا بالعدل في الأقوال والأفعال على القريب والبعيد، غير أنّه جاء بالتّخصيص في الأقوال؛ لأنّ أكثر ما يكون فيه العدل بين النّاس أقوال كالشّهادة والحكم.

ط- الوصية التاسعة: الوفاء بعهد الله.

قال الله تعالى: ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾[405]، فالملاحظ من هذه الوصيّة أنها وصية جامعة ناسب مجيؤها لما سبقها من أوامر ونواه، فعلى المسلم أن يكون وفيا مع الله فيما عاهده عليه من الاستقامة على العقيدة، والبعد عن إيذاء الوالدين، وعدم قربان الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وصيانة النّفوس والمحافظة على مال اليتيم، وحسن التعامل في الكيل والوزن، وكل المبادلات التجارية، وبعبارة جامعة تطبيق العدل على النّاس قولاً وفعلاً[406].

ي- الوصية العاشرة: الاستقامة على الصّراط المستقيم.

ومن أدلة ذلك، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ﴾[407]، فاللّه سبحانه وتعالى يأمر عباده بالسّير على الصّراط المستقيم والأخذ بكتاب اللّه وسنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم على طريقة وفهم سلف الأمّة عقيدة وعلما وعملا وسلوكا، مع اجتناب الطّرق

---

[402]- ينظر: عفيف عبد الفتاح طبارة، المرجع السابق، ص 143.

[403]- سورة الأنعام، الآية 152.

[404]- صغيّر بن علي الشّمري، الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام، دار ابن الأثير، دط، دت، ص 36.

[405]- سورة الأنعام، الآية 152.

[406]- ينظر: صغيّر بن علي الشّمري، المرجع السابق، ص ص 72-73.

[407]- سورة الأنعام، الآية 153.

المخالفة للدّين الحنيف والسّنّة المطهّرة[408]، لأنّ دين اللّه هو الحقّ والحقّ واحد لا يتعدّد، أمّا الباطل فمتعدّد وطرقه ملتوية مختلفة، ولهذا يأمركم بذلك ليعدّكم إلى اتقاء كل من يشقيكم في دنياكم وآخرتكم[409].

1-2- سورة لقمان:

1-2-1- تعريفها:

سورة لقمان من سور القرآن الكريم المكّية، لأنّ أغلب آياتها أنزلت بمكّة المكرّمة، إلاّ ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة، وهي قوله تعالى: ﴿ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام....﴾، إلى تمام الآيات[410]، حيث أخرج ابن ضريس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عبّاس رضي الله عنهم قال:«أنزلت سورة لقمان بمكّة»[411]، وحكى القرطبي عن قتادة: أنّها مكّية إلاّ آيتين، وأخرج النسائي وابن ماجه عن البراء قال: كنّا نصلّي خلف النّبي صلى الله عليه وسلّم رضي الله عنه الظّهر، وتسمع منه الآية بعد الآية من سورة لقمان والداريات[412].

وعدد آياتها ثلاث وثلاثون في عدّ أهل المدينة ومكّة، وأربع وثلاثون في عدّ أهل الشّام والبصرة والكوفة[413]، وكلماتها خمسمائة وثمان وأربعون، وحروفها ألفان ومائة عشر[414]، وترتيبها السورة الحادية والثلاثون من المصحف الشريف، وفي الجزء الحادي والعشرين، محصورة بين سورة الرّوم وسورة السّجدة.

وسمّيت هذه السورة بهذا الاسم، بناء على إضافتها إلى لقمان ولاشتمالها على ذكر لقمان وحكمته والآداب الّتي أدب بها ابنه، ولم يورد لفظ لقمان في غير هذه السّورة، وبهذا الاسم عرفت بين القرّاء والمفسّرين[415].

---

[408]- ينظر: صغيّر علي الشمري، المرجع السابق، ص ص 43-44

[409]-.ينظر: عفيف عبد الفتّاح طبارة، المرجع السابق، ص 145.

[410]- ينظر: الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن محمد ، فتح القدير: الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007م، ص 1139.

[411]- السيوطي جلال الدين، تفسير الذر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج6، دط، 2011م، ص 503.

[412]- المرجع نفسه، ص503.

[413]- محمد الطاهر بن عاشور، المرجع السابق، ص 138.

[414]- الفيروز أبادي، المرجع السابق، ص370.

[415]- منيرة محمد ناصر الدوسي، المرجع السابق، ص 207.

وسورة لقمان من المثاني الّتي أوتيها النّبي صلّى الله عليه وسلم مكان الإنجيل، أما بالنسبة لمطلعها، فقد افتتحت بحروف التّهجّي عموما فهي مفتتحة ب ﴿ألم﴾[416]، خصوصا حيث يعرف من مطلعها، وقسميها أن موضوعها هو ضرورة الاهتداء بكتاب الله الحكيم[417].

1-2-2- أسباب نزولها:

ذكر لهذه السّورة الكريمة سبب واحد مضت الإشارة إليه في سورة العنكبوت، والأصحّ أنّ النّازل لذلك السّبب هو آية العنكبوت لا آية لقمان[418].

أخرج جويبر عن ابن عباس رضي الله عنهما في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴾[419]، أنّها نزلت في النّضر بن الحارث، ولم يذكر اسمه في روايات أخرى، إذ كان يأخذ بالرّجال إلى مغنية، طمعا في صدهم عن الرّسول عليه الصّلاة والسّلام وما يدعو إليه[420].

وكما قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يحلّ تعليم المغنيات، ولا بيعهنّ، وأثمانهنّ حرام، وفي مثل هذا نزلت هذه الآية: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[421]، إلى آخر الآية، وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلاّ بعث الله تعالى عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب، والآخر على هذا المنكب؛ فلا يزالان يضربان بأرجلهما حتّى يكون هو الّذي يسكت»[422].

---

[416]- سورة لقمان، الآية 1.

[417]- محمد بن عبد العزيز بن نصيف، المرجع السابق، ص ص 127-128.

[418]- محمد بن عبد العزيز بن نصيف، المرجع السابق ، ص 128.

[419]- سورة لقمان، الآية 6.

[420]- ينظر: السّيوطي جلال الدين أبي عبد الرحمان، أسباب النزول: المسمى "لباب النقول في أسباب النزول"، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م، ص 202.

[421]- سورة لقمان، الآية 6.

[422]- النيسابوري، المرجع السابق، ص ص 362-363.

في حين أخرج ابن جرير عن عكرمة في سبب النّزول قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[423]، أنّها نزلت في أهل الكتاب بعد نزول قول الله: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾[424]، وقد نزلت بعد أن سألوا النّبي عليه الصّلاة والسّلام عن الرّوح، وبيّن لهم أنّ أمرها إلى الله سبحانه[425].

وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن مجاهد في سبب نزول قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[426]، أنّها نزلت في واحد من أهل البادية حيث سأل النّبي عليه الصلاة والسّلام عن بعض أمور الغيب الّتي لا يعلمها إلاّ الله سبحانه وتعالى[427]. وبالتّالي نلاحظ عدم وجود سبب موحد يجمع كل سورة وإنّما أسباب متفرّقة لبعض آيات السورة مثلها مثل سورة الأنعام.

1-2-3- موضوعاتها:

تضمنت سورة لقمان جملة من المواضيع نذكر منها ما يلي:

- تعالج هذه السّورة موضوع "العقيدة" بالتّركيز على أصولها: (الوحدانية والنّبوّة والبعث والنّشور)[428]، أي أنّ سورة لقمان قد عالجت قضية "العقيدة" في نفوس المشركين الّذين انحرفوا عن تلك الحقيقة، حقيقة توحيد الخالق وعبادته وحده لا شريك له، وشكر آلائه، واليقين بالآخرة وما فيها من حساب دقيق وجزاء عادل في حقّ العباد، وإتّباع ما أنزل الله والتّخلّي عمّا عداه من مألوفات ومعتقدات.

- ابتدأت آياتها بذكر القرآن الكريم الّذي جعله الله تعالى هدى وشفاء ورحمة للمحسنين، وذكرت حال الّذين اهتدوا بالقرآن الكريم وحال الأشقياء الّذين أعرضوا عنه، كما بيّنت قدرة الله العظيمة على خلق السّماوات

[423]- سورة لقمان، الآية 27.

[424]- سورة الإسراء، الآية 85.

[425]- ينظر: السيوطي جلال الدين، المرجع السابق، أسباب النّزول، ص 202.

[426]- سورة لقمان، الآية 34.

[427]- ينظر: المرجع السابق، ص 203.

[428]- نور محمد مؤيد الجندلي، المرجع السابق، ص 91.

والأرض وما فيهما وبينهما[429]، من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ﴾[430] إلى قوله تعالى: ﴿هَٰذَا خَلۡقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[431]، بالإضافة إلى الرّد على المعرضين للقرّاء في قوله سبحانه: ﴿وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾[432].

– إثبات الحكمة للقرآن الكريم، اللازم من حكمة منزّله سبحانه في أقواله وأفعاله، وقصّة لقمان عليه السّلام، المسمّية بها السّورة دليل واضح على ذلك، المبيّن في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾.[433]

– ختمت السّورة ببيان نعم الله تعالى ودلائل قدرته في الكون محذّرة المشركين من ذلك اليوم الّذي لا ينفع فيه مال ولا بنون، مخبّرة عن جلال اللّه وعظمته وكبريائه وجلاله وأسمائه الحسنى وصفاته العُلا وعلمه بمفاتيح الغيب، من قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾[434]، إلى قوله تعالى: ﴿.... وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾[435]، أي الحثّ على شكر الله سبحانه وتعالى، ومن هنا نجد أنّ سورة لقمان قد بيّنت أنّ قضيّة الجزاء مرتبطة بقضية الإيمان والكفر.

وعلاوة على ذلك، فقد اشتملت على عدد من الوصايا الّتي أوصى بها لقمان ابنه، وهو يمنحه أفضل ما يعرف من الحكمة والدّعوة للرّشاد والتّحذير من الشّرك...، وبيان تفصيلها فيما يأتي:

أ– الوصيّة الأولى: تحريم الشّرك بالله تعالى.

[429]– ينظر: محمد مؤيد الجندلي، المرجع السابق، ص ص 91-92.

[430]– سورة لقمان، الآية 1-3.

[431]– سورة لقمان، الآية 11.

[432]– سورة لقمان، الآية 27.

[433]– سورة لقمان، الآية 12.

[434]– سورة لقمان، الآية 20.

[435]– سورة لقمان، الآية 34.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[436]، هكذا تبدأ الوصيّة بالتحذير من أخطر الأخطار، وأكبر الكبائر، وأعظم الذّنوب، وهو الشّرك به والخروج عن طاعته، كما أنّ في هذه الوصيّة تبيان إلى أعظم حقّ لله علينا هو أن نعبده ونوحّده ولا نشرك به شيئا، فمن لم يؤدّ هذا الحقّ فقد ارتكب أعظم الظّلم[437]، بمعنى أنّ لقمان الحكيم يوصي ابنه بأن لا يشرك بالله تعالى فيظلم نفسه، أي يتسبّب لها في دخول الجحيم خالدا مخلّدا فيها أبدا، لأنّ الشّرك من أعظم الكبائر وأبشعها.

ب- الوصية الثانية: الحثّ على برّ الوالدين.

لقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[438]، ففي هذه الوصّية تعظيم لشأن الوالدين والإحسان إليهما قولا وفعلا، وخاصة الأمّ، لأنّها هي الّتي لقت مشقّة بعد مشقّة، وشدّة بعد شدّة (وهي آلام الحمل والولادة والإرضاع)، ولذلك جعل النّبي صلّى الله عليه وسلم برّها فوق برّ الوالد بمرّتين، ولهذا وجب شكرهما ببرّهما وصلتهما وطاعتهما في غير معصية الله عزّ وجلّ، بعد تقديم الشّكر لله سبحانه وتعالى، فله النّعمة وله الفضل وله الثّناء الحسن أوّلا وآخرا، والمرجع لله فيجازي كلاّ بما يستحقّ[439].

ج- الوصية الثالثة: لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

والدّليل على ذلك قوله جلّ وعلا: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ

[436]- سورة لقمان، الآية 13.

[437]- ينظر: مصطفى العدوي، قصّة وصايا لقمان لابنه، دار الصحيفة، دط، دت، ص ص 26-31.

[438]- سورة لقمان،الآية 14.

[439]- ينظر: رامي حنفي محمود، تفسير سورة لقمان كاملة بأسلوب بسيط، شبكة الألوكة، دط، دت، ص ص 4-5.

تَعْمَلُونَ ﴾[440]؛ أي وإن حرصا عليك كلّ الحرص، على أن تتبعهما في دينهما فلا تقبل منهما ذلك، ولا يمنعك ذلك أن تصاحبهما في الدنيا محسنا إليهما[441]، واسلك طريق من تاب من شركه، ورجع إلى الإسلام، واتّبع محمدا صلّى الله عليه وسلم[442]، أجازيكم على أعمالكم لذا فأحسنوا إلى والديكم، ولكن قدّموا طاعتي على طاعتهما[443]، لأنّ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

د- الوصية الرابعة: تحرّي رقابة الله.

من أدلّة سورة لقمان قوله تعالى: ﴿**يَبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ** ﴾[444]، بمعنى يا بني، إنّ السيّئة أو الحسنة مهما كانت صغيرة مثل وزن حبّة من خردل وكانت في بطن صخرة لا يطّلع عليها أحد، أو كانت في أيّ مكان في السماوات أو في الأرض، فإنّ الله يأتي بها يوم القيامة، فيجازى العبد عليها. إن الله لطيف لا تخفى عليه دقائق الأشياء خبير بحقائقها وموضعها[445].

هـ- الوصية الخامسة:الحثّ على إقامة الصّلاة.

فقوله تعالى هنا: ﴿**يَبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾[446]، أمر بإقامة الصّلاة، ومعنى إقامتها: أن يأتي بها الإنسان تامّة بأركانها وشروطها وواجباتها ومكمّلاتها، وقوله تعالى: ﴿**ٱلصَّلَوٰةَ**﴾ شامل للمفروضات والنوافل[447]، كون الصّلاة همزة وصل بين الإنسان وربّه، لأن في مواظبتها ترك للفواحش، وذكر لله تعالى والتّقرّب منه بعبادته وطاعته وحده لا شريك له وهذا هو المطلوب.

و- الوصية السادسة: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

---

[440]- سورة لقمان،الآية 15.

[441]- الصابوني محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، مج3، ط7، 1981م، ص 65.

[442]- مصطفى العدوي، المرجع السابق، ص 47.

[443]- رامي حنفي محمود، المرجع السابق، ص 5.

[444]- سورة لقمان، الآية 16.

[445]- صالح بن عبد الله بن حميد، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير الدراسات القرآنية، السعودية، دط، دت، ص 412.

[446] سورة لقمان، الآية 17.

[447]- العثيمين محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: سورة لقمان، المملكة العربية السعودية، ط1، دت، ص 105.

لقوله تعالى: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾[448]، ففي هذه الوصيّة حثّ لقمان ابنه أن يكون آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، أي أن يعمل بما هو خير وحسن من الأمور، وينهى عمّا هو فاحش وسيّء، بحسب طاقته وجهده، إن استطعت باليد فباليد، وإلاّ فبلسانك، فإن لم تستطع فبقلبك، فهذا ما دعا إليه النّبي صلى الله عليه وسلم[449].

ز- الوصية السابعة: الصّبر على المصائب.

حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾[450]، أي تحمّل على ما يصيبك من الأذى مقابل أمرك بالمعروف ونهيك عن المنكر[451]، لأنّ الدّاعي إلى الحقّ معرّض لإيصال الأذى إليه كما أمره بالصبر على شدائد الدّنيا كالأمراض وغيرها، وألاّ يخرج من الجزع إلى معصية الله عزّ وجلّ، وهذا قول حسن لأنّه أعمّ[452]، وبذلك فهو يوصيه بالتّحمّل والمضي قدما في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر والاستمرار في ذلك.

ح- الوصية الثامنة: الحثّ على التّواضع.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴾[453]، أي لا تعرض بوجهك عن النّاس وهم يحدّثونك، بل أقبل عليهم وابتسم في وجوههم، ولا تلوّ عنقك عنهم، فإن هذا من شيم المتكبرين وأخلاقهم، كما ينهاه عن المشي في الأرض باختيال وتجبّر، وذلك لأنّ الله عزّ وجلّ لا يحبّ المختال في مشيته، الفخور على النّاس المتكبّر عليهم[454].

ط- الوصية التاسعة: الحث على القصد في المشي.

---

[448]- سورة لقمان، الآية 17.

[449]- ينظر: مصطفى العدوي، المرجع السابق، ص ص 59-60.

[450]- سورة لقمان، الآية 17.

[451]- رامي حنفي محمود، المرجع السابق، ص 5.

[452]- مصطفى العدوي، المرجع السابق، ص ص 67-68.

[453]- سورة لقمان، 18.

[454]- مصطفى العدوي، المرجع السابق، ص 59.

لقوله تعالى: ﴿۞ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾[455]، المقصود من الآية الكريمة هو أن تتواضع في مشيتك إذا مشيت، وفي مسيرك إذا سرت، ولا تستكبر ولا تستعجل، ولا تسرع بل اقصد في المشي، ليكون المشي معتدلا بين الإسراع والتّباطؤ، لا مسرعا تمشي فتختل، ولا متباطئا كمشية المريض المتمارض[456].

ي- الوصية العاشرة: الحث على الغض من الصّوت.

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴾[457]، في هذه الوصيّة نجد لقمان يبيّن لابنه حسن الآداب في حالته الخاصّة، وهي حالة التّكلّم[458]، حيث أمره بخفض الصّوت وجعله وسطا أيضا، لأنّ الصّوت المرتفع اختصّت به الحمير، بل الحمير أنكر الأصوات وأشرّها وأقبحها، وليس لأهل الفضل والصّلاح والخلق الكريم أن يتشبّهوا بالحمير -عياذا بالله-[459].

من هنا نستنتج أن وصايا سورة لقمان، هي عبارة عن عشر مواعظ جمعت في طيّاتها مظاهر التّربية، وكل موعظة فيها أصل من أصول التّربية الّتي يجب أن يكتسبها الأولاد، فما فعله لقمان ينادي به التربويون اليوم، وينبّههم إلى الأخذ بهذه الوصايا مع الحرص عليها أشدّ الحرص، حتّى لا يكون هناك خلل في ميزان التّربية، لأنّ الله سبحانه وتعالى في نزوله بهذه السّورة العظيمة فيه عبرة وحكمة من ذلك.

2- دراسة تطبيقية في وصايا سورتي الأنعام ولقمان.

بعد الانتهاء من الجانب النّظري الذّي تضمّن أهمّ مباحث وجوانب الموضوع النّظرية، وإبراز المقاصد البلاغية والجمالية لكل من أسلوب الأمر والنّهي، اللذين يعدّان لبّ دراستنا، حان الوقت الآن لتطبيق ما أخذناه سابقا على نموذج مذكرتنا المتمثّل في وصايا سورتي الأنعام ولقمان، وذلك تبعا لما عولج في الجانب النّظري.

2-1- الأمر والنّهي في وصايا سورة الأنعام:

[455]- سورة لقمان، 19.

[456]- ينظر: مصطفى العدوي، المرجع السابق، ص 74.

[457]- سورة لقمان، الآية 19.

[458]- عويض بن حمّود العطوي، يابني: موعظة لقمان لابنه، مكتبة الملك، الرياض، ط2،2014، ص 86.

[459]- ينظر:مصطفى العدوي ، المرجع السابق، ص75.

إنّ الوصايا العشر الّتي وردت في أواخر سورة الأنعام كانت محصورة في ثلاث آيات هي: الآية 151، 152، 153، وهي كالتّالي: قال الله تعالى: ﴿ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ أَلَّا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗاۖ وَلَا تَقۡتُلُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُم مِّنۡ إِمۡلَٰقٖۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكُمۡ وَإِيَّاهُمۡۖ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ١٥١ وَلَا تَقۡرَبُواْ مَالَ ٱلۡيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوۡفُواْ ٱلۡكَيۡلَ وَٱلۡمِيزَانَ بِٱلۡقِسۡطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۖ وَإِذَا قُلۡتُمۡ فَٱعۡدِلُواْ وَلَوۡ كَانَ ذَا قُرۡبَىٰۖ وَبِعَهۡدِ ٱللَّهِ أَوۡفُواْۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ١٥٢ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾.[460]

فإذا تمعنا في الآيات الثلاثة نجد أنّ الله تعالى يختم كلّ آية بمشتقّ من مشتقّات الوصيّة وذلك بقوله في الآية الأولى: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾، أمّا في الآية الثّانية فقال: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾، في حين أنّ الآية الثالثة ختمها سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾، وقد أطلق العلماء والمفسرون على هذه الآيات الكريمة اسم الوصايا العشر نظرا لتذييل آياتها الثلاثة بعبارة "ذلكم وصّاكم به" بمعنى أنّه السّبب الّذي تعود إليه هذه التّسمية، بالإضافة إلى المضامين الّتي تحملها هذه الآيات بين ثناياها، فنجدها تتنوع بين المضامين العقائدية والمضامين الأخلاقية والاجتماعية والتعبدية الّتي تمثّل المقاصد العامّة الّتي جاء بها الّدين الإسلامي والتي تعدّ الرّكيزة الّتي تحمي حقوق الإنسان من الضّياع والانتهاك، فهذه الوصايا العشر تضمّنت عشر قضايا رئيسة مأمورا بها أو منهيا عنها.

وإذا تأمّلنا وصايا سورة الأنعام نجدها قد اشتملت على قضية التّوحيد والربوبية فالله سبحانه وتعالى يدعو عباده للابتعاد عن الشّرك، كما اشتملت على قضايا أسرية قائمة على البرّ والإحسان إلى الوالدين والعطف والحنان عليهما، بالإضافة إلى قضايا اجتماعية تخصّ العلاقة الّتي تقوم داخل المجتمع بين الأفراد والقائمة على حفظ الأنفس والأموال والأعراض، مع الالتزام بالعهد والعدل في الكيل والميزان وعدم الميل عن الصّراط المستقيم والخوض في سبل أخرى تبعد العبد عن ربّه وعن عبادته.

أمّا عن تقسيم هذه الوصايا حسب الآيات فنجد أنّ الآية الأولى قد تضمنت خمس وصايا هي: النهي عن الشّرك، الأمر بالإحسان إلى الوالدين، النّهي عن قتل الأولاد من إملاق، النّهي عن الاقتراب من الفواحش،

[460]- سورة الانعام، الآية 151-153.

بالإضافة إلى النّهي عن قتل النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ. أمّا الآية الثّانية فاشتملت على أربع وصايا هي: النّهي عن قربان مال اليتيم، والأمر بإيفاء الكيل والوزن بالقسط، إضافة إلى إيفاء العهد، مرورا بالأمر بالعدل في الشّهادة. في حين أن الآية الثالثة تفرّدت بوصيّة واحدة وهي الأخيرة والمتمثّلة في إتّباع الصّراط المستقيم وعدم إتّباع السّبل الّتي تفرّقنا عن الله عزّ وجلّ، وتميل بنا إلى الضلالة والمجموع في الأخير عشر وصايا بالتّمام والكمال ملخّصة مقاصد الشّريعة الإسلامية الّتي تحقّق الحياة الكريمة للعبد المؤمن في الدّنيا والآخرة.

إنّ الوصيّة بمفهومها العام تقتضي احتوائها على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، فالآيات الأواخر من سورة الأنعام والّتي تضمّنت الوصايا العشر الموجّهة للعبد من ربّه، قد اشتملت على مأمورات طُلب فعلها، وفي المقابل منهيات طُلب الكفُّ عن فعلها، وبالتّالي نلاحظ تجلّ أسلوبي الأمر والنّهي في هذه الوصايا، لأنّها الأنسب في هذا المقام، فالله سبحانه وتعالى زاوج بين هذين الأسلوبين كونهما يؤثّران في النّفس الإنسانية، بالإضافة إلى كونهما من الأساليب الإنشائية الطّلبية الّتي تزيّن الكلام وتؤدّي المقاصد، بفضل الأغراض البلاغية الّتي يخرجان إليها، والّتي سبق ذكرها في الجانب النّظري من الدّراسة، فلا تخلو وصيّة من هذه الوصايا العشر، إلاّ واحتوت على أسلوب إنشائي سواء الأمر أو النّهي أو كلاهما معا، وهنا يتجلّى السّر البلاغي لأسلوبي الأمر والنّهي في تأدية معنى الوصيّة وإيصالها إلى العبد بكلّ وضوح وسهولة وقوّة تعبير.

وفي هذا الإطار وفي ضوء موضوع دراستنا، قمنا بتسطير جداول صنّفنا فيها مواطن الأمر والنّهي في وصايا سورة الأنعام العشر، بالإضافة إلى تبيان الصّيغة الّتي وردت عليها، كما لا ننسى أهمّ شيء في موضوع بحثنا وهو الغرض البلاغي الّذي يخرج إليه كلّ من أسلوب الأمر وأسلوب النّهي مع الإشارة إلى نوع مضمون الوصيّة سواء كان عقائديا أو اجتماعيا أو أخلاقيا أو تعبديا، مع إتباع كل جدول بقراءة تحليلية إحصائية مقارنة، تساعدنا على الوصول إلى هدف بحثنا المتمثّل في الدراسة المقارنة بين وصايا سورتي الأنعام ولقمان من حيث بلاغة الأمر والنّهي فيهما ، والأثر البلاغي التي تحدثه هذه الأساليب الإنشائية في تأدية المراد من الكلام وتحقيقا للهدف المنشود من التّوصية المتمثّل غالبا في الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر.

2-1-1- جدول إحصائي لصيغ الأمر في وصايا سورة الأنعام:

قمنا في هذا الجزء بتسطير جدول مثّلنا فيه كلّ صيغ الأمر الواردة في وصايا سورة الأنعام -سابقة الذّكر- مع تدوين دلالاتها البلاغية الّتي تخرج إليها، مع الإشارة إلى مضمون الوصية، ويتجلّى ذلك على النّحو التّالي:

الآية	الوصية	موضع الأمر	صيغته	غرضه البلاغي	مضمون الوصية
151	«قُل تَعالوا أَتلُ مَا حَرّمَ رَبُّكم عَليْكم...»	- قُل - تَعالُوا	- الأمر بالفعل الصّريح بصيغة (فلْ) - الأمر بالفعل الصّريح (جامد)	- أمر حقيقي - أمر حقيقي	/ /
	«وبِالوَالديْن إِحسَانًا....»	- إِحْسانًا	- المصدر النّائب عن فعل الأمر وتقدير الكلام: وبالوالدين أحسنوا	- الوجوب	- مضمون اجتماعي أخلاقي
152	- «وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلّف نفسا إلاّ وسعها..»	- أُوفُوا	- الأمر بالفعل الصّريح بصيغة (أفعلوا)	- الوجوب يتخلله التّرخيص فيما خرج عن الوسع والقدرة	- مضمون اجتماعي أخلاقي
	- «وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى.....»	- اعدلوا	- الأمر بالفعل الصّريح بصيغة (افعلوا)	- الوجوب	مضمون اجتماعي أخلاقي
	- «وبعهد الله أوفوا.....»	- أوفوا	- الأمر بالفعل الصّريح بصيغة (افعلوا)	- الوجوب الّذي يتخلّله التّحذير	- مضمون اجتماعي أخلاقي
153	-«وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه.....»	- اتّبعوه	- الأمر بالفعل الصّريح بصيغة (افعلوه)	- الوجوب الّذي يتخلّله النّصح والإرشاد	- مضمون عقائدي

– القراءة التّحليلية للجدول المسطّر أعلاه:

إذا تمعّنا جيدا في الجدول الموضّح أعلاه، نجد أنّ صيغة الأمر وردت في سبعة مواطن من وصايا سورة الأنعام، ونجد ذلك في مستهل الآية (151)، حينما ابتدأ المولى عزّ وجلّ وصاياه بقوله: "قُلْ تعالُوا" والمقصود بهذه العبارة أنّه يأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبليغ الوصايا إلى النّاس فقال جلّ وعلا: "قُل" وتقدير الكلام: قل يا محمد لكلّ العباد تعالوا واقبلوا لأخبركم بما وصّاكم به مولاكم أن تفعلوه أو بمعنى آخر: يقول الله تعالى لرسوبه محمد صلّى الله عليه ويلّم قل يا محمّد لهؤلاء المشركين الّذين جعلوا مع الله إلاها آخر وأشركوا بوحدانيته وربوبيته، وحرموا ما رزقهم الله وقتلوا أولادهم من الجوع وأكلوا مال اليتيم.....الخ، قل لهم تعالوا بمعنى، هلمّوا وأقبلوا أقصّ عليكم ما أمركم الله بفعله، وما نهاكم عن تركه، وأخبركم بما حرّم ربّكم عليكم، فالملاحظ أنّ الله ابتدأ كلامه بصيغتين أمريتين هي "قُل" و "تعالوا" وكلتاهما أمر حقيقي صيغتهما الصرفية هي "فل" و "فعل جامد) على التّرتيب، أي بصورة الفعل الصّريح.

وإلى جانب هاتين الصّيغتين نجد أنّ الأسلوب الأمري قد ورد أيضا في الآية نفسها مع الوصية الثّانية الخاصّة ببرّ الوالدين والإحسان إليهما وذلك في موضع "إحسانا" فصيغته جاءت في صورة المصدر النّائب عن فعل الأمر وتقدير الكلام: وبالوالدين أحسنوا، وهنا تكمن سرّ بلاغة القرآن الكريم وبلاغة لغته العربية لّتي تتميّز بخاصية الاشتقاق، فالمولى عزّ وجلّ استبدل صيغة الأمر أحسنوا بمصدر نائب عنه وهو الإحسان بقوله: "وبالوالدين إحسانا"، فالمصدر في اللغة العربية أكثر تعبيرا من الفعل الصريح، وهو ما أعطى الكلام قوة ورصانة في التّعبير وأضفى على الوصية جمالا في التّصوير والبناء، وأدّى معنى الأمر الصّريح الّذي أراده الله تعالى من الأبناء ببرّ الوالدين والإحسان إليهما.

أما عن الغرض البلاغي الّذي أفاده الأمر هنا في هذا الموضع فهو غرض الوجوب –كما و موضح في الجدول– فالله سبحانه وتعالى يأمر الأولاد بوجوب الإحسان إلى الوالدين إحسانا مطلقا وذلك في الأقوال والأفعال والمعاملات، وكل أمر يخصّ العلاقة بين الابن وأبويه من رعاية وعناية وإحسان وطاعة وبرّ ورحمة وشفقة.....الخ. بمعنى عدم التّقصير في رعايتهما والعناية بهما وطاعتهما في كلّ أمر حسن طبق التشريع الإسلامي، بالإضافة إلى إلزام الأولاد إلزاما قاطعا بالرّفق والرّحمة بهما والإحسان إليهما، فصيغة الأمر هنا أدّت معناها، فالوصيّة بالوالدين تتطلّب الأمر الصّريح الظّاهر الّذي يحمل بين ثناياه طلب فعل الشّيء على أساس

الاستعلاء والإلزام المجازيين، فالوجوب هنا تمّ بفضل صيغة الأمر الّتي وردت بإحدى أنواعها الأربعة وهي صيغة المصدر النّائب عن فعل الأمر.

وإذا تأمّلنا تسلسل الوصايا العشر من سورة الأنعام نجد أنّ الله تعالى جعل وصية الإحسان إلى الوالدين مقرونة بالنّهي عن الشّرك، وهذا راجع إلى عظمة هذه الوصيّة لمجيئها عقب ذلك النّهي، بمعنى أنّ الله عزّ وجلّ يعظّم حقّ الوالدين ويقرّ بمنزلتها العالية عنده، وفي المقابل يلمح بخطورة عقوقهما وعصيانها، لأنّها تعدّ من أكبر الكبائر بعد الشّرك بالله، فالوجوب في هذا الموضع ضروري لهدي العبد إلى الطّريق الصّواب وأمره بالمعروف وإبعاده عن المنكر الّذي يلحق به الأذى في الدنيا والآخرة.

وكون الأمر هو طلب فعل الشّيء، فالله سبحانه وتعالى يأمر عباده ويطلب منهم فعل الشّيء المتمثّل في الإحسان، لكن الأمر هنا لم يحتفظ بسمة الإلزام والاستعلاء وإنّما دلّ على معنى بلاغي هو الوجوب.

أمّا فيما يخصّ مضمون الوصيّة، فقد جاءت بمضمون اجتماعي أخلاقي خاص بالعلاقة القائمة داخل الأسرة بين الأبناء والوالدين، فصلاح الأسرة من صلاح المجتمع، فالحبّ والطّاعة والإحسان إلى الوالدين، الرأفة والسّعادة داخل الأسرة وبين أفرادها، وبالتّالي يؤدّي صلاح الأفراد إلى صلاح المجتمع وإقامة علاقات اجتماعية مبنية على أواصر المحبّة والتّعاون والإحسان، فصيغة الأمر هنا أدّت مقاصد أسرية وفردية واجتماعية، وهنا يكمن سرّ بلاغة الخطاب القرآني فهو معجز بلفظه ومعناه.

وفي الآية (152) من سورة الأنعام نلاحظ موطن آخر ورد فيه الأمر، وذلك في الوصية رقم سبعة الّتي تنصّ على إيفاء الكيل والميزان، فيقول اللّه عزّ وجلّ: «وأوفوا الكيل والميزان.....»، فالفعل "أوفوا" هو فعل أمر على وزن (افعلوا) بمعنى آخر جاء بصيغة الأمر بالفعل الصّريح، وهو أحد أنواع صيغ الأمر الأربعة إلى جانب المصدر النّائب عن فعل الأمر، الفعل المضارع المقرون بلام الأمر وأخيرا اسم فعل الأمر، فهذه الوصية تتحدث عن آفة اجتماعية خطيرة تحدث بين الباعة والتّجار والمتمثّلة في نقص المكيال والميزان، وهذه الظّاهرة تؤثّر تأثيرا كبيرا على الدّين الإسلامي وتفسد قلوب العباد فتنشر الفساد بين أفراد المجتمع، ولخطورة هذه الظّاهرة أمر الله تعالى باجتنابها وإيفاء الكيل والميزان، كما نهى عن بخس أموال النّاس ونقصان المكيال والوزن والتّطفيف فيهما، مستعملا تعبيره عن هذا الكلام صيغة أمرية هي "أوفوا" لغرض الوجوب الذي يتخلله التّرخيص، فيما خرج عن الوسع والقدرة، بمعنى أنّ الله تعالى أمر عباده بإتمام الكيل وإيفاء الميزان في حدود الطّاقة والوسع والقدرة، فهو لا يكلّف نفسا إلاّ وسعها، وهذا الأمر موجّه من الله تعالى إلى عباده التّجّار الذين يبيعون ويشترون السّلع والبضائع لأنّ

صاحب الحقّ لا بدّ من أخذ حقّه كاملا على أتمّ وجه دون نقصان، فهذه الوصية جاءت لتحقّق العدل في التّعامل بين النّاس وداخل المجتمع الواحد، وهنا يتجلى مضمون الوصيّة، فهو مضمون اجتماعي أخلاقي ينظّم التّعامل التّجاري بين أفراد المجتمع، لذلك تطلّب استعمال صيغة الأمر المجازي لإيصال المعنى إلى قلب السّامع بطريقة سهلة وسلسة جمعت بين الدّقة والضّبط ورفع الحرج حسب طاقة العبد وقدرته.

وهنا يكمن إعجاز التّشريع الإسلامي وروعته واعتداله ووسطيته، وتعامله مع كافّة الطّبقات الاجتماعية واستعماله في ذلك أساليب كلامية تؤثّر في النّفوس والقلوب، فالله تعالى أحسن اختيار الصّيغ بحيث تلاءمت مع المعنى المراد إيصاله للعبد، فصيغة الأمر من بين الأساليب الكلامية الطّلبية الّتي تفي بالغرض المنشود من هذه الوصية بالذّات.

نبقى مع الآية نفسها، أين وردت صيغة أخرى للأمر وذلك في الوصية الثامنة الّتي تلي الوصية السابقة مباشرة والّتي تنصّ على العدل في قول الشّهادة فيقول الله تعالى: "وإذا قلتم فاعدلوا"، بمعنى أنّ الله تعالى يأمر عباده بالعدل في القول، مستعملا في ذلك أسلوب الطّلب وهو الأسلوب الأمري "اعدلوا"، على وزن (افعلوا) حيث جاء بصيغة الفعل الأمري الصّريح لحاجة الوصية إليه في مثل هذه المواضيع لمنزلتها وأهميتها عند الله عزّ وجلّ لأنّها تنظّم سير الأفراد والمجتمعات، والعباد كافّة، فالعدل خاصية ضرورية يجب القول بالذّات في هذا الموضع، لأنّه أكثر ما يكون فيه العدل وهذا لا يعني أن نتحلّى بالعدل في الأقوال فقط وإنّما لا بدّ من العدل في الأفعال والأحكام.

أمّا عن الغرض البلاغي الّذي أفاده الأمر باستعمال الفعل الأمري أعدلوا فهو غرض الوجوب والإلزام – كما هو موضّح في الجدول السّابق– فهذه الوصيّة جاءت لتبيان وجوب العدل في الأقوال وخاصّة أقوال الشّهادة لأنّ العدل أساس اتّزان العلاقات بين أفراد المجتمع.

وأرفق الله تعالى هذه الوصية بقوله: "ولو كان ذا قربى"، بمعنى أنّ هذا الأمر قائم أيضا مع أقاربه وأصحابه وأهل معرفته، فالعدل في القول لا بدّ أن يتجلّى مهما كان الأمر ومهما كانت القرابة، فالمسلم يتعيّن عليه النّطق بالحقّ وقول الصّدق ولو كان في أخيه، فشهادة الزّور تكلّف العبد كثيرا من السّيّئات فهي من أكبر المعاصي الّتي تؤدّي بالمجتمع إلى التّشتّت والتّفرقة، فمضمون الوصية هنا إذا هو مضمون اجتماعي يتخلّله بعض الأخلاق، لأنّ شهادة الزّور هي خلق من الأخلاق التي يتّسم بها الفرد.

وبهذا تتجلّى جمالية وبلاغة أسلوب القرآن الكريم في حسن اختيار أساليبه الكلامية للإحاطة بكلّ مناحي الحياة، فأسلوب الأمر هنا، وغرضه البلاغي المتمثّل في الوجوب قام بدوره ومقصده في التّأثير في النّفس البشرية وإيصال المعنى المراد إلى قلب العبد، فالسّر البلاغي لأسلوب الأمر يكمن في ذلك.

وفي الوصية التاسعة التي وردت في الآية (152)، نلاحظ وجود صيغة أمرية أخرى وذلك في قوله عزّ وجلّ: «وبعهد الله أوفوا»، فهذه الوصية تنصّ على الإيفاء بعهد الله، ويقصد بذلك أنّ الله تعالى يأمر عباده بالوفاء بعهده والإخلاص له في ذلك، لأنّ الوفاء من الصّفات الحميدة الّتي لابدّ لكلّ فرد الاتسام بها، فكثير ما أوصى الشّارع العبد بأن يكون وفيّا مع ربّه، وذلك في العديد من مواضع الخطاب القرآني، لأهمية هذا الخلق عنده ومنزلته العالية، ودوره الكبير في تحقيق النّظام العام الّذي يسوده الأمن والاستقرار في الدّنيا والآخرة، في حين أنّ نقض العهود من أكبر الكبائر عند الله عزّ وجلّ، لأنّه يعدّ من علامات الفجور والفسق والنّفاق، وصاحبه ينال غضب الله وعذابه الشّديد.

ولخطورة هذا الأمر وأهميته أمرنا الله تعالى بإيفاء عهد الله وعدم نقضه مستعملا في ذلك الصيغة (أوفوا) التي جاءت على وزن (افعلوا)، فصيغته جاءت بالفعل الأمري الصّريح الّذي يفيد معنى بلاغي هو الوجوب الّذي يتخلّله بعض من التّحذير، فالله يوجب علينا الوفاء بعهد الله ويحذّرنا من نقضه لماله أثر في تحقيق الأمن والسّلام بين أفراد المجتمعات، فمضمون الوصية الأولى إذا اجتماعي أخلاقي، والوفاء بالعهود من أصول الدّين الإسلامي، ومن العلامات الّتي تزدهر بها الأمم وتحقق من خلالها الصلاح والعدل والمساواة. وذلك من خلال إتباع تشريعات العقيدة وعدم ممارسة الفواحش، والمحافظة على مال اليتيم، وإيفاء الكيل والميزان، والقيام بمختلف العبادات التي أوجبها الخالق علينا، وبالتّالي نكون قد أوفينا بالعهد الّذي جاء به المولى.

إذا التّعبير بالصّيغة الأمرية في هذه الوصية أدى الغرض المنشود المتمثّل في الوجوب والتّحذير، لقوّة هذا الأسلوب في تأدية الكلام، وتحقيق الجمالية التعبيرية والبلاغة المرجوّة.

ننتقل إلى آخر وصية والّتي وردت في الآية رقم (153) من سورة الأنعام، وهي آخر آية اشتملت على الوصايا العشر في هذه السورة، بالإضافة إلى أنها تضمّنت أسلوبين إنشائيين على التّوالي هما: الأمر والنّهي معا وذلك في قوله تعالى: "وأنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتبعوا السبل..."، فصيغة الأمر هنا سبقت صيغة النّهي لأنّ الأمر بالشيء هو نهي عن ضدّه، فموضع الأمر هو الفعل "اتّبعوه" -كما هو موضّح في الجدول المسطّر أعلاه- حيث جاء على وزن "افعلوه"، بمعنى صيغته جاءت بالفعل الصّريح "افعل" أي اتّبع.

وهذه الصّيغة الأمرية لم تأت على سبيل الاستعلاء والالتزام وإنّما أفادت معنى مجازي غير حقيقي هو غرض الوجوب، الّذي يتخلّله بعض النّصح والإرشاد، لأنّ الله سبحانه وتعالى يأمر عباده بإتّباع الصّراط المستقيم الّذي هو الدّين الحقّ الّذي يشمل القرآن والسّنة والإسلام وكلّ ما هو آت من الله عزّ وجلّ.

بالإضافة إلى أنّ الصّراط هو الطّريق الّذي عبّده الله تعالى لعباده بأن يتّبعوه، دون اعوجاج به عن الحقّ وإتّباعه يكون بالسّير عليه دون ميل، من خلال الأخذ بكتاب الله وسنّة نبيّه محمد عليه الصّلاة والسّلام.

وقد تضمّنت هذه الصّيغة وجوب الالتزام بأمر الله تعالى المتمثّل في إتّباع هدي الله وطريقه المستقيم الّذي يؤدّي إلى الجنّة ونيل الدّرجات العليا، لذلك على كلّ مسلم ومسلمة أن يسلك هذا السّبيل لأنّه أمر واجب من الله عزّ وجلّ كونه يمثّل خلاصة الدّين الإسلامي كلّه عقائديا وأخلاقيا وتعبّديا واجتماعيا. فهو يشمل كلّ هذه المضامين.

أمّا عن مضمون وصيّة إتّباع الصّراط المستقيم فهو مضمون عقائدي، يمثّل أساس العقيدة الإسلامية وركيزة الدّين القويم، الذي يربط العبد بربّه؛ لأنّ إتّباع الأوامر يعدّ من صميم الطّاعة والعبادة.

وإذا أمعنّا النّظر في هذا الجزء من الوصيّة والمتضمّن أسلوب الأمر، نجد أنّ صيغة الأمر أدّت غرضا بلاغيا كما سبق وأشرنا، وهو الوجوب الّذي يتخلله بعض النّصح والإرشاد، فهذا الوجوب الذّي تحمله صيغة الأمر قد يصل إلى قلب المؤمن بكلّ سهولة، ويوصل تلك النّصيحة إلى النّفس الإنسانية بكلّ بلاغة وجمالية، وبالتّالي نلاحظ أنّ للأمر دورا كبيرا في البلاغة العربية، فصيغته لا تكتفي فقط بطلب الشّيء استعلاء وإلزاما، وإنّما تتعدّى ذلك للوصول إلى معان أخرى، وتأدية أغراض بلاغية كثيرة، تفهم من سياق الكلام الّذي قيلت فيه.

إذا نستنتج مدى سرّ بلاغة أسلوب الأمر في تأدية معان بلاغية عديدة انطلاقا من صيغة صرفية واحدة، فكثيرا ما نجد أن الآية الواحدة تحمل عدّة أغراض متداخلة في بعضها البعض مثل ما حدث في هذه الوصيّة، فالوجوب اقترن بالنّصح والإرشاد.

2-1-2- جدول إحصائي لصيغ النّهي في وصايا سورة الأنعام:

بعد الانتهاء من تحليل وإحصاء صيغ الأمر في وصايا سورة الأنعام، ننتقل الآن إلى إحصاء وتحليل صيغ النّهي الواردة فيها، فقمنا برسم جدول قسّمناه إلى عدّة خانات تتماشى مع المباحث التي عالجناها في الجانب النّظري، وذلك يتجلّى على النّحو الآتي:

الآية	الوصية	موضع النّهي	صيغته	غرضه البلاغي	مضمون الوصية
151	«ألاّ تشركوا به شيئا...»	- لا تشركوا	- الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية (لا تفعلوا)	- التّحريم	عقائدي
	«ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم...»	- لا تقتلوا	- الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية (لا تفعلوا)	- التّحريم الّذي يتخلّله التّوبيخ	اجتماعي
	- «ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن..»	- لا تقربوا	- الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية (لا تفعلوا)	- التّحريم الّذي يتخلّله التّحذير	عقائدي اجتماعي أخلاقي
	- «ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلا بالحقّ.....»	- لا تقتلوا	- الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية (لا تفعلوا)	- التّحريم الّذي يتخلّله التّحذير	اجتماعي
152	- «ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشدّه.....»	-لا تقربوا	- الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية (لا تفعلوا)	- الوجوب الّذي يتخلّله التّحذير	مضمون اجتماعي
153	-«ولا تتّبعوا السّبل فتفرّق	- لا تتّبعوا	- الفعل المضارع المقرون بلا	- الوجوب الّذي يتخلّله	عقائدي

	بكم عن سبيله.....»		النّاهية (لا تفعلوا)	النّصح والإرشاد	

- القراءة التّحليلية للجدول المسطّر أعلاه:

نلاحظ في الجدول أنّ أسلوب النّهي قد ورد ستّ مرّات في وصايا سورة الأنعام، وذلك في الآيات الثّلاثة التي احتوت على الوصايا وهي الآيات (151، 152، 153) على التّوالي، حيث ورد في الآية(151) أربع مرّات، في الوصيّة الّتي تنصّ على النّهي على الشّرك بالله، وكذلك وصيّة النّهي عن قتل الأولاد من الإملاق، وأيضا وصية النّهي عن قربان الفواحش بالإضافة إلى وصيّة النّهي عن قتل النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ.

أمّا الآية (152) فقد ورد فيها مرّة واحدة وذلك في الوصية التّي تنصّ على النّهي عن قربان مال اليتيم.

في حين أن الآية (153) فقد احتوت على صيغة واحدة للنّهي مثلها مثل الآية الّتي قبلها، وذلك في الوصيّة الّتي تقرّ بالنّهي عن إتّباع السّبل التي تفرّقنا عن الدين القويم.

والمتمعّن في هذه الوصايا العشر، يلاحظ أنّ الله تعالى ابتدأها بصيغة نهي، وهذا يعود لنجاعته في تأدية معنى التّوصية من الله عزّ وجلّ إلى المخاطب المتمثّل في العبد، خاصّة في موضوع حسّاس هو الشّرك.

الصّيغة الأولى للنّهي في هذا النّموذج –موضوع الدّراسة– وردت في الوصية الأولى التي يقول فيها المولى عزّ وجلّ: "ألاّ تشركوا به شيئا"، فالفعل "لا تشركوا" هو فعل نهي جاء بصيغة الفعل المضارع المقرون ب لا الناهية على وزن "لا تفعلوا"، وكما سبق وأن أشرنا فإنّ النّهي له صيغة صرفية واحدة في اللغة العربية.

وهذه الصّيغة لم تفد الاستعلاء والإلزام وإنّما جاءت بمعنى بلاغي هو التّحريم، فجاءت الوصيّة لهذا الغرض وهو تحريم الشّرك بالله تعالى مستعملا في ذلك أسلوبا إنشائيا بمعنى طلب الكفّ عن فعل الشّيء، وهو النّهي بعينه، فطلب منّا الكفّ عن الشّرك بالله المتضمّن توحيده وإفراده بالعبادة والطّاعة الكاملة، وهذا التّوحيد لا بدّ أن يكون في كلّ المناحي المتمثّلة في توحيد الرّبوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصّفات.

فالشّرك يعدّ من أكبر الكبائر الّتي حرّمها الله تعالى على عباده المخلصين، لذلك نهى عن فعلها لأنّها تعدّ الرّكيزة الأساسية لأركان الإسلام الخمس كونه ابتدأ بها.

فقضيّة التّوحيد هي قضيّة في غاية الأهميّة، تطلّبت في إيصالها للعبد استعمال صيغة النّهي الدّالة على التّحريم لدعوة النّاس لإفراد الله بالعبادة ،والاستسلام لأوامره ونواهيه، والانقياد له بالطّاعة والدّعاء والحبّ الخالص النّابع من القلب الخالي من النّفاق والغلو.

فالابتعاد عن الشّرك أمر واجب على كلّ عبد لخطورته، فهو يؤدّي بالعبد إلى الخلود الأبدي في نار جهنّم لأنّ المشرك لا تقبل توبته عند الله تعالى.وبالتّالي فصيغة النّهي في هذا الموضع بالذّات قد أوصل المعنى المراد من الوصية، وهو النّهي عن الشّرك بأن لا تجعل مع الله ندّا في الرّبوبية أو الألوهية، وتحريمه تحريما قاطعا لا يقبل النّقاش.

أمّا فيما يخصّ مضمون هذه الوصيّة، فإنّها ذات مضمون عقائدي، يمثّل أحد ركائز العقيدة الإسلامية، فبدون التّوحيد لا تبنى عقيدة صحيحة، لأنّ الشّرك آفة خطيرة إذا ظهرت تجرّ ورائها كلّ الظّواهر من معاصي وفواحش ما ظهر منها وما أخفي.

ولأسلوب النّهي في هذا المقام ،أهمّية كبيرة في التّأثير في النّفوس وذلك بطلب الكفّ عن فعل المنكرات والمعاصي بطريقة مجازية أضفت على التّعبير جمالية وبلاغة عظيمة.

أمّا الصّيغة الثّانية للنّهي الّتي وردت في وصايا سورة الأنعام، فنجدها جليّة في الوصية الثالثة، والتي تنصّ على نهي قتل الأولاد من الإملاق بقوله تعالى: "لا تقتلوا أولادكم من إملاق"، فالفعل "لا تقتلوا" هو فعل جاء بصيغة الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية، على وزن "لا تفعلوا"، وتقدير الكلام: أنا أطلب منكم الكفّ عن قتل الأولاد من الإملاق، فنلاحظ أنّ هذه الوصيّة اكتست المعنى اللّغوي للنّهي بصورته العامّة.

هذه الوصيّة لم تأت استعلاءا وإلزاما من الله سبحانه وتعالى، وإنّما أفادت معنى بلاغي هو التّحريم الّذي يتخلّله التّوبيخ، فغرض التّحريم وارد في كلّ الوصايا، لكنه في أغلب الأحيان يرد رئيسيا، مثل ما وقع هنا في هذه الآية، فالله سبحانه وتعالى إذا يوبّخ العباد الّذين يقتلون أولادهم خوفا من الجوع والفقر أو خوفا من العار، فيحرم هذا الفعل الشّنيع الّذي يمسّ بالبشرية، تحريما مطلقا،لأنّه يرزق كلّ العباد عند ولادتهم في بطون أمّهاتهم، لذلك يقول لهم سبحانه وتعالى "نحن نرزقكم وإيّاهم..."، كأنّه يطمئنّ الآباء بأنّه سبحانه وتعالى يتكفّل برزق الأولاد، فلا خوف على ذلك منهم، فالله بيده ملكوت كلّ شيء وهو قادر على كلّ شيء، فإذا أراد شيئا يقول له كن فيكون.

واستعمل صيغة النّهي في هذه القضيّة، لأنّ قتل الأولاد من أعظم الذّنوب عن الله تعالى وفاعلها توعّده بعذاب شديد وخلود في جهنّم، فقتل النّفس من أكبر الكبائر، التي تبعد العبد عن ربّه، وتميل به إلى الضّلالة والطريق المنحرف، فنهى العباد عن فعلها ،والابتعاد عنها، أوجب عليهم الحفاظ على أولادهم بناتا كانوا أو ذكورا.

ومنه نستنتج أنّ معنى الوصية يوحي بالتّأثير في النّفوس ويوصل المعنى المراد إلى قلب المخاطب نتيجة استعمال الله صيغة النّهي في هذا الموضع بغرض مجازي هو التّوبيخ، ما يؤكّد نجاعة هذا الأسلوب.

والصّيغة الثّالثة من مجموع الصّيغ السّتة، وردت في الوصية الرّابعة، والتي تنهى عن قربان الفواحش ما ظهر منها وما بطن، بقوله تعالى: "لا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن"، فالفعل لا تقربوا هو فعل نهي جاء بصورة الفعل المضارع المقرون بلا الناهية على وزن "لا تفعلوا".د

فالله سبحانه وتعالى ينهى عباده عن قربان الفواحش من أقوال وأفعال، بحيث يتعيّن على المؤمن الصّادق أن يتّصف بالعفّة والنّظافة والطّهارة والشّرف، لأن هذه الصّفات هي أساس قيام الأسرة السعيدة والمجتمع المتماسك.

فصيغة النّهي في هذا الموضع من الآية، جاءت لتبيّن لنا أنّ خطورة ارتكاب الفواحش كبيرة جدّا، والزّنا يعدّ من أبشع الفواحش الّتي حرّمها الله تعالى ورسوله الكريم، لأنّها من أقبح المعاصي والذّنوب ومن أكبر الكبائر ومن أعظم الجرائم، التي يمكن للإنسان أن يرتكبها في الدّنيا، لأنّها تؤدي إلى هلاك الأمم وتحطّم الرّوابط الاجتماعية والأخلاقية، فلهذا رتّب الله على فاعلها عقابا قاسيا وهو الرّجم بالحجارة والجلد.

أمّا عن الغرض البلاغي الّذي أفاده الفعل "لا تقربوا"، فهو غرض التّحريم الّذي يتخلله التّحذير، فصيغة النّهي هنا جاءت للتّحذير من الدّنو والاقتراب من الفواحش والمحرّمات التي نهانا الله تعالى عن فعلها، ودعانا إلى الكفّ عنها، فحرّم علينا الفواحش كلّها ما ظهر منها وما بطن، كالتّبرّج والزّنا والكلمات والإشارات...الخ، فكلّها تعدّ فواحش حذّرنا منها الله تعالى وحرّمها علينا لما فيها من أضرار تعود على الإنسان وعلى مجتمعه وأسرته.

فخاصية النّهي هنا تجلّت من خلال إبراز غرض التّحذير والتّحريم الّذي أراد الله أن يوصله إلى العباد، وذلك بالدّعوة إلى الكفّ عن الدّنوّ من الفواحش، وكلّ ما تميل له النّفس والشّهوات والأهواء، فعلى الإنسان التّحكّم في شهواته ونفسه الأمّارة بالسّوء ابتغاء مرضاة الله.

وهنا يكمن دور أسلوب النّهي والأسلوب القرآني بصفة عامّة، في دعوة الخلق لما فيه منفعة لهم وابتعادهم عن كلّ ما هو مضرّ لهم، فهذا الأسلوب بليغ أدّى المعنى المقصود بطريقة إبداعية من الخالق، غرضه التّأثير في قلوب النّاس وفي نفوسهم وأقرّ بتحريم هذا الخُلق الشّنيع والتّحذير منه تحذيرا قاطعا، وبالتّالي إرشادهم إلى الطّريق الصّواب ألا وهو طريق الحقّ وطريق الدّين الإسلامي.

أمّا عن مضمون الوصية بالنّهي عن قربان الفواحش فهي وصية ذات مضمون اجتماعي أخلاقي، لها دور في تثبيت العلاقات الاجتماعية ومنعها من الوقوع في وحل الفواحش والمنكرات والمحرّمات، فانتشار هذه الآفة يفسد الفرد والأسرة والمجتمع بأسره.

ننتقل إلى الصّيغة الرابعة بأسلوب النّهي في وصايا الأنعام، فقد ورد في الوصيّة الخامسة الّتي تنصّ على النّهي عن قتل النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ، وذلك جليّ في قوله تعالى: "ولا تقتلوا النّفس التي حرّم الله إلاّ بالحقّ"، فصيغة النّهي المتمثّلة في الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية وهو الفعل "لا تقتلوا"على وزن "لا تفعلوا"، وتقدير الكلام: أنا أطلب منكم الكفّ عن قتل النّفس الّتي حرّم الله إلاّ بالحقّ، وبالتّالي فالمعنى اللغوي والاصطلاحي للنّهي واضح في هذا التّقدير، بحيث أنّ النّهي هو طلب الكفّ عن فعل شيء ما.

وأسلوب النّهي في هذه الوصيّة لم يكن على سبيل الإلزام والاستعلاء، وإنّما جاء ليفيد معنى آخر من المعاني الّتي ينصرف إليها النهي بلاغيا وهو معنى التّحريم، فالله سبحانه وتعالى يحرّم علينا قتل النّفس، فالقتل يعدّ جريمة يعاقب عليها الله والقانون كذلك، ومعنى قول الله تعالى: "إلاّ بالحقّ" أنّه لا يجوز للإنسان قتل النّفس الّتي حرّم الله في أيّ ظرف من الظّروف إلاّ في حال ارتكابها لشيء يوجب قتلها.

فأسلوب النّهي الوارد في هذا الموضع كان له الدّور الفعّال في تبيان أنّ قتل النّفس من المحرّمات، بالإضافة إلى أنّ الأسلوب كان بليغا لدرجة أنّه أخرج المعنى من معنى حقيق إلى معنى مجازي هو التّحريم، وهنا يكمن سرّ بلاغة أسلوب النّهي في توصيل المعنى المراد من الله عزّ وجلّ إلى عباده، ففعل النّهي "لا تقتلوا" أدّى معنى التّحريم بكلّ جمال وبلاغة، وبفضله تحفظ الأنفس من الانتهاك والقتل، ويسود الأمان والسّلام في المجتمع، وكذلك تسود الطّمأنينة في قلوب العباد، فالدّين في النّهاية مردّه على الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وبالتّالي نستنتج من خلال ما سبق أنّ مضمون الوصية هو مضمون اجتماعي.

الصيغة الخامسة للنّهي وردت في الوصية السادسة من الوصايا العشر، قال تعالى: "ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشُدّه"، فهذه الوصية كما نرى تحمل معنى النّهي عن قربان مال اليتيم، فاستعمل الله سبحانه وتعالى في إيصال هذه التّوصية أسلوب النّهي، بالفعل المضارع المقرون بلا النّاهية "لا تقربوا"، فجاء على وزن "لا تفعلوا"، بصيغة الجمع كما هو ملاحظ، وقد أفاد هذا الفعل من الجانب البلاغي غرض التّحذير الّذي يتخلّله بالضّرورة غرض التّحريم، فالله سبحانه وتعالى لا ينهى عن أكل مال اليتيم، بل عن مجرّد الاقتراب منه وهذا الواضح من استعماله لفعل الاقتراب بدل فعل الأكل، فهو يحذّرنا من الدّنوّ من مال اليتيم الضّعيف الّذي فقد والده وهو صبيا دون البلوغ، فجاء الدّين الإسلامي، وأمر النّاس بحفظ أموال اليتامى وتنميتها إن أمكن ذلك كما نهى وحرّم قربانها إلاّ بالّتي هي أحسن وأنفع له، حتى يبغ سنّ الرّشد، ويعرف كيف يتصرّف بذلك المال وحده بعقله ووعيه.

فبلاغة النهي في هذا الموضع، يعود لتأديته معنى التّحذير والتحريم الذي يحفظ مال اليتيم من الضّياع، وترهيب النّاس عن الاقتراب من هذا الذّنب الكبير،الّذي يؤدّي إلى انتهاك الحقوق الملكية للآخرين، وبالتّالي انتشار الفوضى والفساد داخل المجتمع ، فهذا الأسلوب الكلامي يساهم في تليين القلوب والتّأثير في ضمير النّاس لأنّ كافل اليتيم مكانته ومنزلته عظيمة عند الله عزّ وجلّ وعند رسوله الكريم ، فمضمون الوصية التي وردت فيها مضمون اجتماعي أخلاقي.

وأخيرا نلاحظ أن آخر صيغة للنّهي في موضوع دراستنا،قد ظهر جليا في الوصيّة العاشرة والأخيرة من وصايا سورة الأنعام، والتي تحمل في طيّاتها معان عظيمة وفائدة كبيرة، فهذه الوصيّة جاءت لتلخص الدّين كلّه، فالصّراط المستقيم هو الدين الإسلامي، حيث يقول سبحانه وتعالى فيها: "أنّ هذا صراطي مستقيما فاتّبعوه ولا تتّبعوا السّبل"، فالفعل "لا تتّبعوا" هو فعل نهي جاء بصيغة الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية، ووزنه الصّرفي هو "لا تفعلوا".

أفادت هذه الصّيغة معنى مجازي بعيدا كلّ البعد عن الإلزام والاستعلاء ألا وهو غرض الوجوب الّذي يتخلله النّصح والإرشاد.

بمعنى أنّ الله سبحانه وتعالى يوجب علينا أن لا نتبع السّبل الأخرى المنافية للصّراط المستقيم، وذلك من باب النّصح والإرشاد ،لأنّنا إذا اتّبعنا السّبل الأخرى، فإنها تفرّق بيننا.وهذه تعدّ نصيحة قيّمة أهدانا الله تعالى

إيّاها من خلال استعماله لصيغة النّهي الّتي أدّت الغرض المنشود من الوصية، فلعظمة هذه الوصية نلاحظ فيها ورود صيغتين إنشائيتين هما الأمر والنّهي على التّوالي.

فالله تعالى يأمرنا باتّباع الصّراط المستقيم والالتزام بقوانينه وتشريعاته وفي المقابل ينهانا عن اتّباع غيره الّذي يميل بنا إلى الضّلالة والتّفرقة، والبعد عن الله عزّ وجلّ وإفساد العلاقة بين العبد وربّه، وبالتّالي نستنتج أنّ مضمون الوصية هو مضمون عقائدي، مرتبط بالعقيدة وبالشّريعة الإسلامية.

وبعد القيام بدراسة إحصائية وتحليلية لبلاغة الأمر والنّهي في وصايا سورة الأنعام، نخلص إلى جملة من النّقاط أهمّها:

1- صيغة الأمر قد وردت سبع مرّات في وصايا الأنعام، أما صيغة النّهي فقد وردت في ستّة مواضع.

2- هذه الوصايا قد زاوجت بين صيغتي الأمر والنّهي.

3- كلّ من فعل الأمر وفعل النّهي قد ورد بصيغة الجمع، لأنّه موجّه إلى كافّة النّاس، بالإضافة إلى كون سورة الأنعام من السّور المكّية.

4- أسلوب الأمر قد ورد بصيغة الفعل الصّريح (افعل)، وكذلك صيغة المصدر النّائب عن فعل الأمر، في حين نلاحظ غياب لباقي الصّيغ الأخرى المتمثّلة في اسم فعل الأمر والأمر بالفعل المضارع المقرون بلام الأمر.

5- أسلوب النّهي قد ورد بصيغة واحدة في كلّ المواضع، وهذا هو المعروف عند العرب، والصّيغة تتمثّل في الفعل المضارع المقرون بلا النّاهية.

6- أسلوب الأمر في الوصايا قد ورد بنوعيه الحقيقي والمجازي، في حين أنّ أسلوب النّهي قد ورد بنوعه المجازي فقط.

7- من المعاني البلاغية التي دلّت عليها صيغة الأمر نجد: الوجوب، التّرخيص، التّحذير، النّصح، والإرشاد.

8- من المعاني البلاغية التي دلّت عليها صيغة النّهي في الوصايا نجد: التّحريم، التّوبيخ، التّحذير والوجوب.

وبالتّالي نلاحظ تنوّع الأغراض البلاغية وتعددها بين الأمر والنّهي في سورة الأنعام وخصّيصا في وصاياها العشر.

2-2- الأمر والنّهي في وصايا سورة لقمان:

في الحديث عن وصايا لقمان العشر، يمكن القول أنّ القرآن الكريم ذكر أنّ لقمان الحكيم أوصى ابنه بعشرة وصايا، حيث كانت هذه الوصايا محصورة بين الآية (13)، والآية (19)، وهذه الآيات هي قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴾.[461]

فمن خلال هذا الجزء الهام تتضح لنا معالم وصايا سورة لقمان الشهيرة لابنه، المتمثّلة في الوصايا التربوية التعليمية التي تدلّ على الحكمة العظيمة، التي حباها الله تعالى لعبده لقمان الحكيم إلى ولده، للتّقيّد والعمل بها في الحياة، وأن تكون خير وصايا للمسلمين بعد ذلك، وخير مرجع للأمة الإسلامية في التربية السّليمة للأولاد.

فإذا وقفنا على الآيات الّتي ذكرت وصايا لقمان لابنه، وما اشتملت عليه هذه الآيات من "الحكمة اللقمانية"، نجد أنّ في خطاب وصايا لقمان الحكيم لابنه تقديم الأهمّ فالأهمّ، وهذا بيّن وواضح، حيث بدأ بأهمّ أمور الدّين، وهو بناء العقيدة الصّحيحة القائمة على أساس التّوحيد، وذلك من خلال نهيه عن الشّرك، ويظهر في الآية (13)، مع تعليله النّهي عنه بأنه ظلم عظيم، ليدرك الابن خطورة هذا العمل، ويكون منه على حذر ووجل، وهذا التّعليل منه مع تقديم أمر التوحيد دليل على قوّة حكمته وفطنته.

ثمّ لفت نظره بعد ذلك، إلى حقيقة التّوحيد وما الّذي يجب أن يترتّب على الإيمان بالله تعالى من آثار فبدأ بأثر ذلك في القلب والباطن من خلال تنبيهه ابنه إلى مراقبة الله سبحانه وتعالى في السّر كما في العلن، وذلك

[461]- سورة لقمان، الآية 13- 19.

لإحاطة علم الله تعالى بكلّ شيء، وهو مقتضى ما تفيده الآية (16)، من علمه لشتّى دقائق الأمور فلا تخفى عليه خافية، فيزداد تعظيم الابن لربّه، وهذا هو لبّ التّوحيد وأساس التّقوى.ثمّ أعقب ذلك بأثر التّوحيد في الظاهر من خلال الأمر بالصّلاة، التي هي أعظم تجلّيات العبودية لله والخضوع له عمليا "يا بنيّ أقم الصّلاة".

ثمّ بعد أن أرشده إلى حقّ الله تعالى أرشده إلى حقّ النّاس، وأعظم حقوقهم هو أن يتم إرشادهم إلى الّطريق الصّحيح، من خلال نصحهم وتعريفهم بالله، ونهيهم عمّا يجلب سخط الله عليهم وما يتّبع ذلك في معاشهم ومعادهم، وأخيرا،أرشده إلى حياته الخاصّة، وذلك بالامتثال للسلوك الأخلاقي واتّباعه الأخلاق الحميدة، بعيدا كل البعد عن كلّ الصّفات الذّميمة الّتي تجعله يميل ويبتعد عن الملّة الصّحيحة والصّراط المستقيم.

أمّا فيما يخصّ مضامين وصايا سورة لقمان، فنجدها قد أحاطت بجميع مضامين التّربية الإسلامية وأصولها، حيث تضمّنت المضمون العقائدي، والمضمون التّعبّدي ،والمضمون الاجتماعي ،والأخلاقي، الّتي تعتبر قوام الدّين وأصول الشريعة الإسلامية، وبالتالي تعتبر وصايا ومواعظ لقمان لابنه، منظومة متكاملة تعالج جميع جوانب الحياة الإيمانية والتّعبدية والأخلاقية والسلوكية والإصلاحية، ودستورا كاملا لبناء الشّخصية وضوابطها الأخلاقية، وذلك في تأدية حق الله سبحانه وتعالى في ألوهيته وتوحيده وربوبيته، وحقّ الغير في الّدعوة إلى الخير و نبد الشر،مع المحافظة على مصالحهم و عدم انتهاك حقوقهم، وحقّ النفس في تأديبها من خلال غرس الأخلاق الحميدة فيها التي حثّ الله سبحانه وتعالى عليها، ومن هنا نلاحظ وفاء وصايا لقمان لابنه بأركان الدين الثلاثة: ونقصد بالأركان الثّلاثة هنا: "ركن العقيدة، و"ركن العبادة" أو كما يسميه البعض "ركن الشّريعة" ثم ركن" السلوك ومكارم الأخلاق".

وبالنسبة لتقسيم هذه الوصايا التي جاء بها لقمان حسب آيات كتاب الله العزيز، نجد أنّ كل آية احتوت على وصية واحدة، ما عدا الآية الخامسة احتوت على ثلاث وصايا، والآية السابعة على وصيتين، وعليه فالآية الأولى جاءت في تحريم الشّرك بالله، والآية الثّانية في الحثّ على برّ الوالدين، والآية الثّالثة في أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، في حين أن الآية الرابعة جاءت للحثّ على رقابة المولى عزّ وجلّ، أمّا الآية الخامسة فقد حثّت على الصّلاة والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، والصّبر على تحمّل المصائب، والآية السادسة جاءت في الحثّ على التّواضع، أمّا الآية السابعة والأخيرة ،فكانت للحثّ عن القصد في المشي، والغضّ من الصّوت، فهذه هي مجمل الوصايا العشر، التي نوّه تبارك وتعالى بها في كتابه القرآن الكريم، وما تعود عليه من فوائد عظيمة وتوجيهات كريمة في الدّعوة إلى الله وفي تربية الأبناء وتنشئة الأجيال.

2-2-1- جدول إحصائي لصيغ الأمر في وصايا سورة لقمان:

في هذا الجانب قمنا بوضع جدول تخطيطي، يوضح توزيع وصايا سورة لقمان المأمور بها لابنه، مع الكشف عن كلّ الصّيغ التي تضمنتها كل وصية ومعرفة وبيان أثرها البلاغي وما تشتمل عليه من مضامين، وذلك يتجلّى على النّحو التّالي:

الآية	الوصية	موضع الأمر	صيغته	غرضه البلاغي	مضمون الوصية
14	« ووصّينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهنا على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إليك المصير»	- اشكر	- الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	- الوجوب	مضمون اجتماعي عقائدي أخلاقي
15	« وصاحبهما في الدّنيا معروفا واتّبع سبيل من أناب إليّ ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون»	- صاحبهما - اتّبع	- الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعلهما) - الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	الوجوب	مضمون اجتماعي عقائدي
17	- « يا بني أقم الصلاة »	- أقم	- الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	- الوجوب الّذي يتخلّله النصح والإرشاد	مضمون تعبدي

	– « وامر بالمعروف وانه عن المنكر»	– أمر – انه	– الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل) – الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	– الوجوب مع النصح والإرشاد والتوجيه	مضمون أخلاقي
	– « واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور»	–اصبر	– الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	– الوجوب الّذي يتخلّله النصح والإرشاد	مضمون عقائدي أخلاقي
19	–«واقصد في مشيك»	– اقصد	– الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	– التأديب والتهذيب	مضمون أخلاقي
	« واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير »	اغضض	الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)	التأديب والتهذيب	مضمون أخلاقي

القراءة التحليلية للجدول المسطّر أعلاه:

من خلال الجدول المرسوم أعلاه، يتضح لنا أن معظم الوصايا التي أتى بها لقمان الحكيم لابنه كانت ثمرة أوامر، وذلك من خلال تكرار صيغة الأمر، حيث وردت في ثمانية مواطن منها: أول موطن يظهر بشكل واضح في الآية الأولى من الجدول أعلاه وهو في الفعل الأمر "اشكر" على وزن "افعل" بمعنى أنه جاء بصيغة الأمر بالفعل الصريح، وهو أحد أنواع صيغ الأمر الأربعة، وجاء هذا الفعل في وصية الحثّ على بر الوالدين، والذي أمر به الله عزّ وجلّ على لسان لقمان الحكيم لابنه، بأن يشكر الله تعالى لأنه خالقه، والمنعم الأصلي عليه وعلى

منحه هذين الأبوين العطوفين الرحيمين، وذلك بعد توجيه الشكر لله تعالى ابتداء ثم توجيه شكره لوالديه باعتبارهما واسطة تحمل هذا الفيض، ومما تحملانه من مسؤولية إيصال نعم الله تعالى له، فما أجمل أن يجعل شكر الوالدين قرين شكر الله! لكن الملفت في هذه الوصية أنها توصي في البداية بالوالدين معا، إلا أنها عند بيان المشاق والمتاعب تؤكد على متاعب الأم، لتنبه إلى إيثارها وتضحياتها الجليلة فيما تلقته من مشقّة في أمومتها من حمل ورضاعة، إلى أن يتابع قوله تعالى في نهاية الآية بنبرة لا تخلو من التهديد والعتاب (إليّ المصير)، لأنّه إذا قصّرت هنا فتحاسب على كل هذه الحقوق والمصاعب والخدمات بدقّة، وبالتالي فيجب على الإنسان أن يؤدي ما عليه من شكر نعمة وجود الأبوين وعاطفتهما الصادقة الطاهرة لينجح في ذلك الحساب وتلك المحكمة، أما فيما يخص مضمون هذه الوصية فقد جاءت في طابع عقائدي أخلاقي اجتماعي، وذلك في الحفاظ على العلاقات الأسرية بين الولد ووالديه وما يجمعهما من حب وعطف وحنان، وسعادة أسرية وبالتالي نيل رضا الله ورحمته.

أما بالنسبة للوصية الثانية من الجدول فنلاحظ وجود صيغتين وهما لفظة "صاحبهما" و "اتّبع" وكلاهما أمر ورد في صورة الفعل الصريح بصيغتهما الصرفية "افعلهما" و"افعل"، وهنا يذكر الله عزّ وجلّ المسلم بفضل الوالدين عليه، وفي الحياة بصفة عامة، وأنّه لابدّ من طاعتهما ومصاحبتهما في الدنيا حتى وإن أقدما على عمل مخالف للدين والشريعة، ومسببا لغضب الله عزّ وجلّ، ومع ذلك أمر الله سبحانه وتعالى بمصاحبتهما بمعروف، لأنّ الابن البارّ لا يضيع أجره في الآخرة، حيث جاءت هذه الوصية بصيغة الأمر بدلا من صيغة النّهي، وذلك لتحريم الإساءة إليهما، وتأدية حقوقهما بطاعتهما مباشرة وخدمتهما، وفي هذا تأكيد لما ينبغي أن يكون عليه المربّي في توجيهاته وإرشاداته من الدّقّة والوضوح وعدم التّعميم، بل ميدان التربية يقتضي التفصيل والإيضاح، لصعوبته خاصّة في السنوات الأولى لعمر الأولاد لاسيما مرحلة الطفولة والمراهقة.

ثمّ تختم هذه الوصية بمن ينبغي مصاحبتهم ومعاشرتهم واتّباعهم بقوله تعالى: ﴿واتّبع سبيل من أناب إليك...﴾، من الآية (15)، أي: المستحقون الأتباع هم الذّين يخصّون الله بالعبادة، ويخلصون له في الطّاعات وعمل الصّالحات؛ لأنّ هؤلاء لا يأمرون إلاّ بمعروف ولا ينهون إلاّ عن منكر، ففي اتّباعهم الفوز بالدّارين، وهذا هدف التربية القرآنية.

أمّا مضمون هذه الوصية فقد تنوعت بين المضمون الاجتماعي والمضمون العقائدي، وذلك لما تضمّنته من الحفاظ على دين الله تعالى وعدم الخروج عن طاعته، وكذا الحفاظ على برّ الوالدين، لأنّ رضا الرّب في رضا الوالدين، وبالتّالي فالعمل بهذه الوصية واتّباعها ينال فضل الله سبحانه وتعالى في الدّنيا والآخرة.

كما يتجلّى فعل الأمر واضحا في الآية (17)، من وصايا لقمان وذلك بقوله لابنه (يا بنيّ أقم الصّلاة) فالفعل (أقم) هو فعل أمر على وزن (افعل)، وهذا يعني أنه جاء على صيغة الأمر بالفعل الصّريح؛ أي بالصّيغة الأصلية للأمر، وفي الموعظة الحسنة للقمان ودعوته إلى القيام بالصّلاة وتأدية ما هو واجب، جاء بهذه الموعظة بنداء الرّحمة والشّفقة مع استخدامه أسلوب الحب والحنان، وإشعار الولد بأنّ النّصيحة من باب الخوف عليه والحرص على مصلحته، بعبارة قوله: (يا بنيّ)، فلا شكّ أنّ الموعظة الحسنة أوقع في نفس السّامع، وأدعى إلى إجابة الدعوة فإنّ النّفوس مجبولة على حبّ من تلطف معها وتودد إليها، وألان الخطاب لها، كما هي مجبولة من النّفور من غليظ القلب ذي الفضاضة، وهنا نلاحظ أنّ لقمان الأب يخاطب ابنه ويحثّه على الأمر بالصّلاة، ويذكره بالصّلة الّتي بينهما بأسلوب رفيق ورقيق، وبالتّالي فصيغة الأمر بالفعل (أقم) أدّى وظيفته الدلالية وغرضه البلاغي، وهو النصح والإرشاد مع الوجوب؛ لأنّ الصّلاة أعظم الواجبات وأجلّ الفرائض، التي افترضها الله على عباده، وهي عماد الدين، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، فإن صلحت صلح سائر أعماله وإذا فسدت فسد سائر عمله.

أما عن مضمون هذه الوصية، فهو مضمون تعبّدي، ذلك باعتبارها أفضل الأعمال فيما يفرق بين الكفر والإيمان، وفي إقامتها طاعة لله، وبعد عما يغضبه، وعليه فهي الصّلة بين العبد وربّه، وتأديتها واجب على كل مسلم ومسلمة لما تعود عليه من نفع في الدّنيا والآخرة.

وفي موضع آخر من هذه الآية نجد الأمر جليا بصيغته الصريحة، وهذا بارز في الوصية السادسة من وصايا لقمان الحكيم والمتمثّلة في: الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، بقوله عزّ وجلّ: (وأمر بالمعروف وانه عن المنكر)، فالفعلين (أمر) و(انه) كلاهما أمر بالفعل الصريح، وصيغتهما الصرفية (افعل) الذي يفيد معنى بلاغي هو النصح والإرشاد والتوجيه، فلقمان ينصح ابنه بالأعمال الصّالحة ويوجّهه على القيام بالمعروف والابتعاد عن المنكر، وهنا يلفت نظرنا إلى أن القرآن قد قدّم الأمر بالمعروف عن النهي عن المنكر، وذلك لأنّ المأمور في الوصية بالأمر بالمعروف يقتضي نهي عن المنكر، وبالتّالي فهذين الفعلين (أمر) و (انه) قد حقّقا الغرض المحال إليه، وهو لفت النّظر واستجلاب انتباه هذا الابن لأبيه لقمان إلى أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ العمل بهذه الوصية مسؤولية جميع أفراد الجماعة الإسلامية، كل حسب استطاعته وقدرته.

وإذا تمعّنا في مضمون هذه الوصية، نجد أنها ذات مضمون أخلاقي، حيث أنّ الله سبحانه وتعالى أوصى بالأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وجعله سبب خيرية هذه الأمّة بعد الإيمان بالله تعالى ووصفهم بالفلاح،

ووعدهم رحمته تعالى، كما أنّ الأخذ بهذه الوصية فيها قوة للأمّة الإسلامية والتّخلي عنها سبب في ضعفها وانتشار الفاحشة والفساد والهلاك فيها.

ونبقى مع نفس الآية، في استحضار موطن آخر من الأمر، والّذي جاء في الوصية السابعة، والتي حثّت على الصبر على المصائب، وهذا في قوله عزّ وجلّ: "واصبر على ما أصابك"، وصيغة الفعل (اصبر) جاءت في صورة الأمر بالفعل الصريح باعتباره أحد الصيغ الأربعة للأمر، فالغرض من هذه الوصية هو وجوب الصبر على الأقدار والإيمان بالله عزّ وجلّ؛ لأنّ الآمر بالمعروف والنّاهي عن المنكر لا شكّ أنّه سيتعرّض للأذى، وبالتالي عليه أن يتسلّح بالصبر حتى يتجاوز هذه العاقبة (عاقبة الأذى)؛ ويكمن سر بلاغة التعبير بفعل الأمر هنا في مقام النّصح والإرشاد، التوجه نحو مقاصد شرعية وأخرى دنيوية، يجلّيها الأسلوب القرآني في صورة بلاغية إعجازية، كما حقّق هذا الفعل عملية تواصلية في قمة المصداقية بين لقمان وابنه المخاطب، كما أدى كذلك وظيفة بلاغية مرتبطة بالاستمرارية في المستقبل على هذا العمل الصّالح والالتزام بالمطلوب.

وهذه الوصية جاءت بمضمون عقائدي أخلاقي، لأنّها مرتبطة بالشريعة الإسلامية وبالدين الإسلامي، لما تحمله من قيمة دينية تتمثّل في طاعة الله عزّ وجلّ والامتثال لأوامره.

ثمّ ننتقل إلى آخر وصية من وصايا لقمان الحكيم والتي وردت في الآية (19)، هذه الآية التي تضمّنت وصيّتين: الأولى جاءت في الحثّ على القصد في المشي بقوله تعالى: (واقصد في مشيك)، والثّانية جاءت في الغضّ من الصّوت بقوله تعالى: (واغضض من صوتك)، حيث يظهر أسلوب الأمر هنا بشكل واضح وبيّن بعيدا عن الغموض، وذلك في الفعلين (اقصد)، و(اغضض)، في شكل صورة الأمر بالفعل الصريح بصيغة (افعل)، والتي تختلف في بلاغتها عن صيغ الأمر الأخرى، هذه الصيغة خرجت عن معناها الأصلي إلى معنى بلاغي آخر وهو التّأديب والتّهذيب، فلقمان يأمر ابنه بالسكون في الحركات والأصوات، بمعنى أن أباه لقمان يعمل على تأديب وتهذيب ابنه في صون النفس وبناء الشخصية وجعلها في صورة مرتفعة عن كل ما يدنيها أو ينقص من شرفها وكرامتها، كالسرعة ورفع الصوت؛ أي أن هذه الوصية اهتمّت في تكوينها الخلقي، بالتوسط والاعتدال في المشي والكلام، غير أن لقمان لم يكتف بفعل الأمر (اغضض) الخاص بالصوت، وإنما زاد تعليله عن ذلك بعبارة قوله (إن أنكر الأصوات لصوت الحمير...)، لأن في الحيوانات من هو أعلى صوتا من الحمار، لكن في القبح ليس فيه أقبح من صوته، وبالتالي فهذين الأسلوبين قد أديا الغرض المحال إليه وهو الحث على بناء النفس البشرية في سورة قرآنية ذات حكمة ودقة بلاغية، ما زاد التعبير جمالا ورصانة.

من هنا نجد أن مضمون هاتين الوصيتين هو مضمون أخلاقي، لأنّ لقمان لفت نظر ابنه إلى أمور أخلاقية تتعلق باتزان الشخصية وكمالها وهي –أدبه في السير والحديث–.

2–2–2– جدول إحصائي لصيغ النهي في وصايا سورة لقمان:

حاولنا الوقوف في هذا الجزء على كل أساليب النهي الواردة في وصايا سورة لقمان، مع الإشارة إلى كل الصيغ المنهي عنها، وبيان أغراضها البلاغية، والمضمون التي تخرج إليه كل وصية، وهذا موضح في الجدول التالي:

الآية	الوصية	موضع الأمر	صيغته	غرضه البلاغي	مضمون الوصية
13	« وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»	– لا تشرك	– الفعل المضارع المقرون بلا الناهية (لا تفعل)	–التحريم يتخلله التحذير والنصح والإرشاد	مضمون عقائدي
15	« وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما »	– لا تطعهما	– الفعل المضارع المقرون بلا الناهية (لا تفعلهما)	التحريم	مضمون عقائدي أخلاقي
18	« ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحا إن الله لا	– لا تصعر	– الفعل المضارع المقرون بلا الناهية (لا تفعل) – الفعل المضارع	– التحريم الذي يتخلله التحذير	–مضمون اجتماعي أخلاقي

	يحب كل مختال فخور»	– لا تمش	المقرون بلا الناهية (لا تفعل)	– التحريم	

القراءة التحليلية للجدول المسطر أعلاه:

الناظر في هذا الجدول الموضح أعلاه يتبين له أن:

صيغة النهي قد وجدت في أربعة مواضع من وصايا سورة لقمان، أول موضع ندركه من هذه الصيغة المنهي عنها، في الآية (13)، هو الفعل المضارع المسبوق بلا الناهية (لا تشرك)، باعتباره أول جانب ركّز عليه لقمان في وصيته لابنه هو (قضية التوحيد)، ذلك حفاظا على فطرته الإيمانية التي فطره الله عز وجل عليها، فحذره أن يلوث هذه الفطرة النقية بالشرك مع الله عز وجل؛ أي أنه يجعل هذه الوصية في مقدمة وصاياه العشر لابنه، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى على لسان لقمان الحكيم: (يا بنيّ لا تشرك بالله...)، وبالتالي فالفعل (لا تشرك) هو فعل نهي جاء بصيغة الفعل المضارع المقرون بلا الناهية، وصيغتها الصرفية هي (لا تفعل)، والمتأمل في هذه الصيغة يلاحظ أنها لا تفيد الاستعلاء والإلزام، وإنما خرجت إلى معنى بلاغي آخر وهو التحريم والتحذير مع غرض آخر يتماشى معها هو النصح والإرشاد، خوفا على ابنه من أن يقع في الخطأ.

كما أن أسلوب التحذير من الفعل قبل الوقوع، هو من أرقى الأساليب استخداما في المجال التربوي، والتحذير من الشيء قبل الوقوع فيه والابتعاد عنه أسهل من قلعه، وإزالته بعد الوقوع فيه، كما أن الحفاظ على طهارة النفس ونقاء الفطرة وصفاء العقيدة عامل قوي في تشكل الشخصية تشكلا سويا بعيدة عن كل المؤثرات والرواسب.

والمراد بالشرك في هذه الوصية هو أن يجعل لله شريكا آخر في ربوبيته أو ألوهيته، أو أسمائه، وصفاته، باعتبارها من أكبر الكبائر التي نهانا الله عز وجل على الإقدام عليها.

وجملة (إن الشرك لظلم عظيم) تعليل لفعل النهي (لا تشرك)، أي يا بني حذار أن تشرك بالله في قولك أو فعلك، إن الشرك بالله تعالى، لظلم عظيم، لأنه وضع الأمور في غير موضعها الصحيح، وتسوية في العبادة بين الخالق والمخلوق.

وعليه فإن صيغة النهي في هذه الوصية، قد أدّت المراد وهو وصول المعنى المحال إليه إلى ذهن المتلقي ورجاء حدوث الاستجابة، ذلك بالابتعاد عن هذا الجرم الخطير في حقّ الله سبحانه وتعالى، فالتصوير بصيغة النهي زاد التعبير جمالية وبلاغة وقوة تأثير في قلب الابن.

أما عن مضمون هذه الوصية، فإنها جاءت بمضمون عقائدي؛ لأن هذه الوصية فيها دعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى وعدم الشرك به، باعتباره المحرم والمنكر الأول، لأنه يقود بعد ذلك إلى كل المحرمات، وبالتالي فهذه الوصية تعد أصلا من أصول الشريعة الإسلامية.

وبالنسبة لثاني صيغة للنهي في وصايا سورة لقمان، فنجدها بشكل بارز في الآية (18)، من الوصية الثالثة، والتي نص على أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى، ففعل النهي (لا تطعهما)، ظاهر وواضح في هذه الوصية، وهو فعل جاء في صيغة الفعل المضارع المقرون بلا الناهية، على وزن (لا تفعلهما)، فالله سبحانه وتعالى لم يقل: (وإن جاهداك على أن تشرك بما ليس لك به علم فعقهما)، أولا تبرهما وإنما قال: (لا تطعهما)، أي: بالشرك، وأما برهما فاستمر عليه، ولهذا قال تعالى: (وصاحبهما في الدنيا معروفا) أي: صحبة إحسان إليهما بالمعروف، وأما إتباعهما وهما بحالة الكفر والمعاصي، فلا تتبعهما.

ومن هنا نجدّ أن فعل النهي (لا تطعهما) قد أدى وظيفته البلاغية في هذه الآية القرآنية، وخاصة في هذه الوصية لما فيها من إشارة إلى التذكير بالإحسان إلى الوالدين، حيث جاء بها لقمان لابنه بأسلوب رقيق، يوضح علاقة كل من الوالد والابن، موحيا بالعطف واللطف، والبلاغة والدقة، ومؤكدة على كل حال أن حقوق المخلوق بمن فيهم الوالدين محفوظة ومصانة، فإن أرغما الأولاد على الإشراك بالله فلا طاعة لهما، لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومع ذلك أمر الله بمصاحبتهما بمعروف في هذه الدنيا، فإذا مارس فيها الإنسان أي نوع من الإحسان فإنه لا يضيع أجره في الآخرة، لذا وجب على الأولاد أن يؤدوا حقوق الوالدين المشركين في غير معصية الله.

وبالتالي استعمال هذا الفعل وفي هذا الموضع بالذات أدى الغرض المحال إليه، هو التحريم مع الوجوب بمعنى تحريما في إتباع الوالدين المشركين على الشرك بالله تعالى، وللخروج عن عبادته ووجوبا في صحبة هذين الوالدين على الرغم من شركهما بالله، لأن كمال إيمان العبد يكون بأداء حق الله عز وجل بتوحيد عبادته ثم أداء حقوق الوالدين بالإحسان إليهما وبرهما.

وعلى هذا الأساس، يمكن القول أن هذه الوصية قد اشتملت على أسلوبين إنشائيين إحداهما جاء نهيا في التحذير من معصية الخالق عزّ وجل ورب العباد مستعملا صيغة الفعل (لا تطعهما)، والآخر أمرا حتمية الرفق بالوالدين وصحبتهما بصيغة الفعل (صاحبهما)، كما أشرنا إليها سابقا.

وبالنسبة للمضمون الذي احتوته هذه الوصية، فإنها ذات مضمون عقائدي أخلاقي معا، لأنها خصّت بالتوحيد الرباني لله وحده لا شريك له، وبالتالي هي أدت مقاصد شرعية إسلامية، كما أنها حافظت على العلاقات الأسرية بين الأولاد وآبائكم، في إطار من المحبة والرأفة والحنان؛ لأن صلاح النفس من صلاح الأسرة وصلاحها من صلاح المجتمع.

ننتقل إلى الوصية الأخيرة في هذه السورة والتي تضمنت الحث على التواضع، فيقول الله عز وجل فيها: "ولا تصعّر خدّك للناس ولا تمش في الأرض مرحا"، وذلك في الآية (18).

فنلاحظ أن النهي في هذه الوصية قد ورد في موضعين اثنين، أولهما هو الفعل (لا تصعّر) وثانيهما هو الفعل (لا تمش)، فكلاهما فعل مضارع مقرون بلا الناهية، وصيغتهما الصرفية جاءت على وزن (لا تفعل).

أما عن الغرض البلاغي الذي أفادته هذه الصيغة في هذا المقام، هو التحريم الذي يتخلله غرض ثانوي مفاده التحذير، فلقمان الحكيم يحذّر ابنه عن مصاعرة الخد أثناء الحديث مع الناس، بأن لا يعرض بوجهه عن الناس وهم يحدثونه، بل الابتسامة في وجوههم والإنصات إليهم بكل احترام وتواضع، لأن المصاعرة من شيم المتكبرين ومن أخلاقهم الذّميمة.

كما نلاحظ أن لقمان يحذّر ابنه كذلك عن المشي في الأرض بتكبر وتجبر واختيال، لأن الله سبحانه وتعالى لا يحبّ كل مختال فخور. وبالتالي فصيغة النهي هنا كانت صالحة لتبليغ النصيحة والموعظة عن الوالد لولده في تعليمه طرائق التعامل والتحادث مع الناس بكل أخلاق وآداب فتزيد من شأنه ومكانته بين أفراد المجتمع.

ومن هنا تتضح جمالية أسلوب النهي في تبليغ النصيحة والموعظة وذلك بطلب الكف عن فعل الخلق الذّميم والابتعاد عنه، والتأثير في النفس البشرية بأسلوب كلامي بليغ ودقيق؛ لأن النهي عن الشيء هو أمر بضده بمعنى أن نهي لقمان لابنه عن رذيلة التكبر فيها دعوة إلى غرس قيمة أخلاقية في قلب ابنه وهي فضيلة التواضع.

وفيما يخص مضمون الوصيتين، فكلتاهما ذات مضمون اجتماعي أخلاقي؛ لأن زرع هذه القيمة الأخلاقية في قلب العبد تعود عليه بالنفع والفائدة في بناء النفس الإنسانية، وكذا في الحفاظ على الروابط الاجتماعية وزيادة وتقوية الصلة بين أفراد المجتمع.

وبناء على ما سبق، يمكن أن نخلص إلى جملة من النتائج التي يمكن ملاحظتها أثناء دراسة بلاغة الأمر والنهي في وصايا سورة لقمان، ومن هذه النتائج نذكر:

- أسلوب الأمر في وصايا سورة لقمان ورد في تسعة مواضع، بينما أسلوب النهي قد ورد في أربعة مواضع.
- امتزاج الوصايا بكلتا الصيغتين النهي والأمر معا.
- جاء فعل الأمر وفعل النهي بصيغة المفرد في كامل الوصايا؛ وذلك لأنها موجهة لشخص بعينه هو ابن لقمان الحكيم.
- أسلوب الأمر في وصايا سورة لقمان قد ورد بصيغة الفعل الصريح فقط مع انعدام لبقية الصيغ الأخرى.
- أسلوب النهي ورد بصيغته الوحيدة في كل المواضع وهذه الصيغة هي الفعل المضارع المقرون بلا الناهية.
- خرج الأمر من معناه الأصلي إلى معان بلاغية عديدة منها: الوجوب، النصح والإرشاد، التأديب والتهذيب والتوجيه.....الخ.
- كما دل النهي على أغراض بلاغية عديدة هي: التحذير والتحريم، النصح والإرشاد.

ومن هنا نجد أن وصايا لقمان الحكيم لابنه، قد حققت تنوعا ملحوظا لمعان ودلالات بلاغية عديدة نتيجة استعمال صيغتي الأمر والنهي، ما أضفى عليها بلاغة وجمالا أدبيا.

3-المقارنة بين بلاغة الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان:

المقارنة هي آلية تستعمل كثيرا في البحوث الأكاديمية والعلمية لما لها من أثر استخلاص أوجه الشبه والاختلاف بين شيئين أو أكثر لإبراز أهم الاتفاقات وكذا الفروقات الموجودة بينهما.

وللمقارنة بين بلاغة الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان لابد من استخلاص أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بين هاتين السورتين لاسيما في وصاياها العشر المدروسة سابقا. وهي على النحو الآتي:

3-1-أوجه التشابه:

ويقصد بها أهم النقاط التي تتفق فيها وصايا سورتي الأنعام ولقمان من حيث ورود أسلوبي الأمر والنهي فيهما، بمعنى أهم الأمور المشتركة بينهما ومن بين أوجه التشابه الملحوظة نذكر:

-أولا: أن الله سبحانه وتعالى قد مهدّ قبل البدء في إعطاء الوصايا العشر، ففي سورة الأنعام يقول: "قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم..." أي أنه يدعو كافة الناس للاستماع إلّى تلك الوصايا والأخذ بها، وذلك بمعرفة المحرمات التي نهانا عن فعلها وفي المقابل إتباع الأوامر التي دعانا لفعلها وجوبا، لأنها تعد أساس العقيدة الصحيحة والدين القويم. وكذلك نلاحظ ذلك في سورة لقمان، فالله سبحانه وتعالى مهدّ أيضا قبل تعداد الوصايا العشر بجملة بليغة ومفيدة فيها نوع من الرقة والتودد والتلطف، حيث يقول فيها: "وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني..."، فلقمان في هذا المقام يتضح أنه يقدم لابنه مواعظ ونصائح تلي هذه الجملة بأسلوب رقيق ولطيف يحذره من خلاله على ارتكاب المعاصي والدنو منها مع فعل الأوامر التي طلبها منا المولى عز وجل. فهذا التمهيد هو بداية أو مقدمة سبقت كلتا الوصايا في السورتين محل الدراسة، عبدت الطريق قبل الحديث عن الوصايا العشر وهو أسلوب بليغ زاد الوصايا جمالا ورصانة.

-ثانيا: إذا أمعنا النظر في الوصايا نلاحظ أن كلتاهما عشر وصايا بمعنى أنه في سورة الأنعام نجد عشر وصايا وكذلك في سورة لقمان توجد عشرة، في سورة الأنعام موزعة في ثلاثة آيات على التوالي أما في سورة لقمان فنجدها تتوزع في سبعة آيات على التوالي كذلك.

-ثالثا: اتفاق مضمون الوصية الأولى من كلتا السورتين -سورة الأنعام ولقمان- فكلتاهما تحدثا عن الشرك بالله، والدعوة إلى وحدانيته، فهذه الوصية قد سبقت كل الوصايا لعظمتهما وأهميتها في العقيدة الإسلامية لذلك ابتدأ الله بها دعوته، فمضمونها إذا هو مضمون عقائدي بالدرجة الأولى: متعلق بعلاقة العبد بربّه، فقبول الأعمال مداره على صحة العقيدة.

وفي هذا السياق نلاحظ أيضا أن هذه الوصية في كلتا السورتين جاءت بصيغة النهي (لا تفعل) لأنها تنص على طلب الكف عن فعل جرم الشرك، لأنه يعد من أكبر الكبائر على وجه الأرض، ففي وصايا سورة الأنعام ورد النهي بالفعل (لا تشركوا) بصيغة الفعل المضارع المقرون باللام الناهية.

أمّا في سورة لقمان فقد ورد النهي فيها بالفعل (لا تشرك) بصيغة الفعل المضارع المقرون باللام الناهية كذلك، باستعمال نفس الفعل بنفس الجذر.

–رابعا: أن الله سبحانه وتعالى قد قرن جرم الشرك بضرورة بر الوالدين في كلتا الوصيتين في السورتين، فبعد بيان حق الله علينا ألا وهو توحيده وعدم الشرك به، يأتي حق الوالدين المتمثل في البر والطاعة والإحسان.

وقد جاءت الدعوة ببر الوالدين مقرونة بالنهي عن الشرك لعظمتهما وجلال مكانتهما عند الله عز وجل فنلاحظ أن وصية سورة الأنعام الخاصة ببر الوالدين قد جاءت بصيغة الأمر ونوع الصيغة هو المصدر النائب عن الفعل الأمر (إحسانا)، وتقدير الكلام وبالوالدين أحسنوا، فالإحسان للوالدين واجب على كل ابن اتجاه آبائهم وأمهاتهم، وحق للوالدين على أولادهم، وكذلك وصية سورة لقمان الخاصة ببر الوالدين وردت بصيغة الأمر بالفعل الصريح (أن أشكر لي ولوالديك) وتقدير الكلام (أن أشكر لي وأشكر لوالديك)، فالشكر كذلك من حق الوالدين، فعلى الابن البار أن يداوم على شكر أبويه لما عانوه لأجله وما لاقوه من تعب وشقاء وعناء من أجل جعله سعيدا وهنيئا وكاملا متكاملا من كل النواحي، ولذلك أمرنا الله تعالى باستعمال هذه الصيغة البلاغية ببر الوالدين من خلال الإحسان إليهما وشكرهما دائما على تعبهما، وبالتالي نلاحظ اتفاق الوصيتين ذات المضمون الواحد في استعمال صيغة الأمر بدل النهي لأنها تؤدي الغرض المطلوب أكثر منه عند استعمال النهي وهنا تكمن بلاغة القرآن الكريم في انتقاء ألفاظه وأساليبه التعبيرية.

–خامسا: إنّ كلا من وصايا سورة الأنعام ووصايا سورة لقمان قد توفر على جل مضامين الوصايا المدروسة سابقا في الجانب النظري فنجد مثلا المضمون العقائدي عند الحديث عن قضية الشرك بالله وإتباع الطريق المستقيم وكذا الصبر على الشدائد الخاص بالإيمان بالقضاء والقدر خيره وشره. ونجد المضمون الأخلاقي عند الحديث عن قضايا تتعلق بالأخلاق الفردية والاجتماعية كقضية الإحسان إلى الوالدين وإيفاء الكيل والميزان، القصد في المشي والغض من الصوت، التواضع... إلخ.

كما نجد المضمون الاجتماعي في أغلب الوصايا لاسيما التي تتعلق بأحوال المجتمع كبر الوالدين و إيفاء الكيل والميزان والعدل في القول...الخ.

والملاحظ أن المضمونين الأخلاقي والاجتماعي متداخلين وسائدين في جل الوصايا سواء في سورة الأنعام أو لقمان. أما المضمون التعبدي فنجده سائداً في وصايا لقمان فقط وفي موضوع واحد فقط وهو متعلق بالأمر بالصلاة. فهو مضمون متعلق بالعبادات والطاعات.

–سادساً: إنّ كل من وصايا سورة لقمان ووصايا سورة الأنعام قد زاوجت بين أسلوبي الأمر والنهي، فوصايا سورة الأنعام توفرت على سبعة أفعال للأمر وكذا ستة أفعال للنهي توزعت على مواطن مختلفة من الوصايا العشر. أماّ سورة لقمان فاحتوت وصاياها العشر على تسعة مواضع للأمر وأربعة مواضع للنهي توزعت فيها بالتوالي.

وبالتالي فهذه الوصايا لم تعتمد على أسلوب طلبي واحد على حساب الآخر وإنما امتازت بالتنوع والتزاوج بين الأمر والنهي لأن بالأمر بالشيء هو نهي عن ضده. وهذا ما زاد النص القرآني بلاغة وقوة تأثير.

–سابعاً: تنوع الأغراض البلاغية لأسلوب الأمر في كلتا السورتين، وبالتالي خروج الأمر فيها من معناه الأصلي إلى معانٍ ودلالات مجازية أخرى، ففي وصايا سورة الأنعام نجد تنوع الأغراض البلاغية المستفادة من أسلوب الأمر مثل: الوجوب الذي نجده طاغيا في أغلب الوصايا الأمرية، بالإضافة إلى التحذير، والنصح والإرشاد...الخ.

أمّا وصايا سورة لقمان فالأمر نفسه يحدث حيث نلاحظ تعدد الأغراض البلاغية التي يخرج إليها أسلوب الأمر في سياق الكلام وذلك على النحو التالي: غرض الوجوب السائد في جل الوصايا التي تحمل فعل الأمر بالإضافة إلى النصح والإرشاد والتوجيه، التأديب والتهذيب...الخ، وبالتالي نستنتج أن الأمر في وصايا سورتي الأنعام ولقمان لم يحافظ على خاصيته الحقيقية المتمثلة في الإلزام والاستعلاء، وإنما تعد ذلك إلى خاصية بلاغية مجازية متجلية من خلال الأغراض البلاغية المذكورة سابقا.

–ثامناً: في المقابل نلاحظ أيضاً تنوع الدلالات المجازية لأسلوب الذهب في كل من وصايا سورتي الأنعام ولقمان، حيث دلت هذه الأخيرة على معان بلاغية عديدة تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال مبتعداً بذلك عن الإلزام والاستعلاء. وهذا ما نجده متجليا في وصايا سورة الأنعام العشر حيث نلاحظ تعدد الأغراض البلاغية فيها وتنوعها فنجد غرض التحريم السائد في أغلب المواضع المذكورة سابقا، وكذلك غرض التوبيخ والتحذير والنصح والإرشاد والوجوب...إلخ، في حين نجده متجليا كذلك في وصايا سورة لقمان العشر، حيث تتوفر على معان بلاغية كثيرة، فنجد غرض التحريم، النصح والإرشاد والتحذير...إلخ.

–تاسعاً: إذا أمعنا النظر في النموذجين قيد الدراسة، نجد أن عدد ورود صيغ الأمر أكثر من ورود صيغ النهي وذلك في كلتا النصين، ففي وصايا سورة الأنعام نجد سبعة مواطن لفعل الأمر، وذلك على النحو الآتي: (قل، تعالوا، إحسانا، أوفوا، اعدلوا، أوفوا، فاتبعوه.)، في حين نجد ستة مواطن فقط للذهب وذلك على النحو التالي: (لا تشتركوا، لا تقتلوا، لا تقربوا، لا تقتلوا، لا تقربوا، لا تتبعوا)

أماَّ وصايا سورة لقمان فنجد فيها تسعة مواضع للأمر على النحو التالي (أشكر، صاحب، اتبع، أقم، أمر، أنه، أصبر، أقصد، أغضض) وأربعة مواضع فقط للنهي وذلك على النحو التالي: (لا تشرك، لا تطع، لا تصعر، لا تمشي)، ويعود تعليل أغلبية ورود الأوامر على حساب النواهي كون الأوامر أفضل من النواهي في تبليغ الوصية للعبد، بالإضافة إلى قوة تأثيرها على القلب، مقارنة بأسلوب النهي وهنا تكمن بلاغة الخطاب القرآني في حسن اختيار الألفاظ والأساليب المناسبة المؤدية للغرض المطلوب والمقصود من الله عز وجل، وهذه الأفضلية متجلية في كلتا السورتين –سورة الأنعام ولقمان– وهنا يكمن وجه الشبه.

3–2– أوجه الاختلاف:

ويقصد بأوجه الاختلاف في هذا المقام، إبراز أهم النقاط التي يختلف فيها بين وصايا سورتي الأنعام ولقمان من حيث ورود أسلوبي الأمر والنهي فيهما، ومن حيث بلاغتهما ودلالتهما التي تفيدها، بمعنى أهم النقاط التي تعد غير مشتركة بين الجانبين، ومن بين أوجه الاختلاف التي حاولنا استخراجها نذكر:

–أولا: إذا أمعنا النظر في كلتا السورتين —سورة لقمان والأنعام– نجد اختلاف كل من المخاطِب والمخاطَب في وصاياها، ففي وصايا سورة الأنعام المخاطِب هو الله سبحانه وتعالى فهو الذي يلقي الوصية بلسانه، أما المخاطَب فهو العبد أو الفرد أو بصف عام كاف الناس لأن سور الأنعام من السور المكية التي خاطب بها الله على لسان نبيه محمد صلى الله عليه وسلم كاف الناس جماعة وليس فردا فردا.

أما وصايا سورة لقمان فالمخاطِب فيها هو الرجل الصالح لقمان الحكيم الذي ألقى الوصية ليعظ ابنه الذي يعد مخاطَبا في هذا السياق، على لسانه لابنه، وبالتالي فالوصية من لقمان إلى فرد واحد هو الابن.

–ثانيا: أن كل الأفعال الواردة في وصايا سور الأنعام جاءت بصيغة الجمع في حين أن كل الأفعال الوارد في وصايا سورة لقمان جاءت بصيغة المفرد، سواء الأفعال الأمرية أو أفعال النهي، وهذا ما يفسره ما ذكرناه سابقا كون المخاطَب في سور الأنعام هو كافة الناس أما في سور لقمان فالمخاطَب هو الابن المفرد.

–ثالثا: عند إحداث مقارنة بين مواضيع وصايا سورة الأنعام والمواضيع الواردة في وصايا سورة لقمان نجدها تتفق في موضوعين اثنين فقط هما النهي عن الشرك بالله والأمر ببر الوالدين، بينما نلاحظ اختلافا تاما في المواضيع المتبقية التي تشملها الوصايا، فوصايا سورة الأنعام تحدثت عن النهي عن قتل الأولاد، تحريم اقتراف الفواحش، تحريم قتل النفس بغير حق، النهي عن أكل مال اليتيم، الوفاء بالكيل والميزان، العدل في القول والفعل، الوفاء بعهد الله، الاستقامة على الصراط المستقيم.

في حين وصايا سور لقمان تحدثت عن عدم طاعة المخلوق الذي يؤدي بك إلى معصية الخالق وإن كانا الوالدين، تحري رقابة الله، الحث على إقامة الصلاة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، الصبر على المصائب، الحث على التواضع، الحث على الغض من الصوت.

رابعا: بالنسبة لمضامين الوصية فتلاحظ تفرد وصايا سورة لقمان بالمضمون التعبدي الذي نص على الدعوة إلى إقامة الصلاة، في حين نلاحظ غيابه تماماً في وصايا سورة الأنعام.

خامسا:أماً بخصوص الصيغ الصرفية لأسلوب الأمر فنلاحظ أن سور الأنعام قد احتوت على صيغتين هما: الأمر بالفعل الصريح، والأمر بالمصدر النائب عن فعل الأمر وغياب لباقي الصيغ بينما وصايا سورة لقمان فقد احتوت على صيغة واحدة فقط وهي الأمر بالفعل الصحيح وذلك في كل مواضع الأمر المذكورة، أما باقي الصيغ فلا تتوفر عليها.

سادسا: كما سبق وأن أشرنا، فإن وصايا سورة الأنعام قد وردت في ثلاثة آيات الأواخر من سورة الأنعام، بينما وصايا لقمان لابنه فقد وردت في سبع آيات من المنتصف، والملاحظ أن الأولى قد احتوت على إحدى مشتقات الوصية وذلك في آخر كل آية من الوصايا العشر وهي على الترتيب: (ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون)، بينما السورة الثانية فلم تحتو على مشتقات لفظة (وصية)؛ ما جعل الأولى تسهل على القارئ معرفة الوصايا من عدمها، والثانية صعبت عليه ذلك لعدم وجود مشتق دال على الوصية.

–سابعا: نلاحظ أن أسلوب الأمر في وصايا سورة الأنعام قد ورد بنوعية الحقيقي والمجازي، فالأمر الحقيقي نحو: (قل، تعالوا) أما الأمر المجازي فنحو: (أوفوا، اعدلوا، اتبعوا...إلخ) في حين أن وصايا سورة لقمان اشتملت على الأمر المجازي فقط مع غياب تام للأمر الحقيقي و ذلك نحو (أشكر، اتبع، أقم، أقصد، أغضض...إلخ).

3-3- الاستنتاج:

في ضوء ما سبق، يمكن الخروج إلى نتيجة عامة وهي أن الوصايا العشر في كل من سورتي الأنعام ولقمان قد اتفقتا في نقاط، وفي المقابل اختلفتا في نقاط أخرى، فهي لا تتشابه تماما كما أنها لا تختلف إطلاقا.

فهذه الوصايا العشر قد طغى عليها أسلوبان طلبيان هما الأمر والنهي دون سواهما. لأنهما الأكثر نجاعة في قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن نلاحظ اختلافا في الأفعال وصيغتهما الصرفية وكذلك أغراضها ودلالاتها البلاغية، بالإضافة إلى اختلاف مضامينها وهذا يعود إلى المقام والسياق الذي قيلت فيه تلك الأفعال.

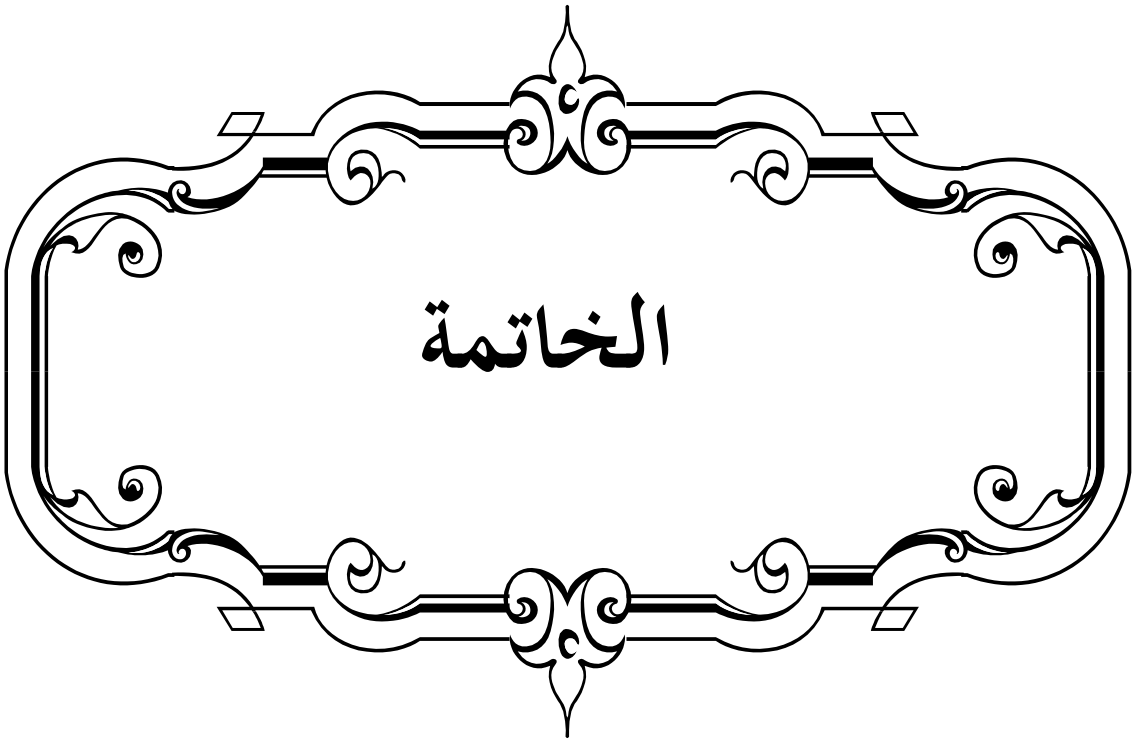

الخاتمة

بعد الانتهاء من الخوض في غمار هذه الدراسة، توصلنا إلى جملة من النتائج نوجزها فيما يلي:

- ✓ سجّل الأمر و النهي حضورا قويا في الخطاب القرآني، لاسيما وصايا سورتي الأنعام و لقمان.
- ✓ الأمر هو طلب الفعل على وجه الاستعلاء و الإلزام، في حين أنّ النهي هو طلب الكف عن الفعل أو الامتناع عنه على وجه الاستعلاء و الإلزام.
- ✓ تنوع الأمر في وصايا سورة الأنعام بين الحقيقي و المجازي، بينما سورة لقمان توفرت على الأمر المجازي فقط .
- ✓ خروج الأمر و النهي في نموذج الدراسة من معناه الحقيقي إلى معان أخرى تفهم من سياق الكلام و قرائن الأحوال نحو: الوجوب،الدعاء،الالتماس،...الخ.
- ✓ ورود فعل الأمر الصريح بكثرة مقارنة بباقي الصيغ الأخرى،حيث سجّل حضورا قويا في وصايا سورتي الأنعام و لقمان.
- ✓ غرض الوجوب في الأمر ، والتحريم في النهي،كانا طاغيين بكثرة على الوصايا قيد الدراسة، مقارنة بالمعاني البلاغية الأخرى.
- ✓ صيغ الأمر كانت أكثر ورودا مقارنة بصيغ النهي، وتفسير هذه الأكثرية راجع إلى أن الأمر أعظم قوة وخطورة من النواهي شرعا ولغة.
- ✓ للأمر و النهي دور كبير في تحقيق البلاغة و الجمالية لما لهما من دور في التأثير على النفس الإنسانية.
- ✓ توافق وصايا سورتي الأنعام و لقمان من حيث ورود أسلوبي الأمر و النهي في مواضع عديدة ، واختلافهما في مواضع أخرى.

وفي الأخير، نرجو أن نكون قد وفقنا في عرضنا لهذا الموضوع و نسأل الله العلي العظيم أن يجعل عملنا خالصا لوجهه الكريم و أن ينتفع به في ميدان العلم و المعرفة ،إنّه على ذلك قدير، و بالإجابة جدير.

قائمة المصادر والمراجع

-القران الكريم برواية ورش عن نافع.
1- إبراهيم عبود السامرائي، الأساليب الإنشائية في العربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.
2- أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص اللغة العربية: دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، دار الأمان، الرباط، ط 1، 2010م.
3- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
4- أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح:يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت ، لبنان، د ط، دت.
5- أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، مج 1، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 2008 م.
6- أحمد مطلوب، أساليب بلاغية: الفصاحة – البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط 1، 1980م.
7- الألوسي محمود شكري البغدادي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج 1، د ط، د ت.
8- الآمدي علي بن محمد، الإحكام في أصول الأحكام، تح: السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ج 1، ط 2، 1986م.
9- امرؤ القيس، ديوانه، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 2، 1964 م.
10-أمين أبو ليل، علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، دار البركة، عمّان، ط1، 2006م.
11- بسيوني عبد الفتاح فيود، علم المعاني: دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 4، 2015م.
12- بطرس البستاني، محيط المحيط قاموس مطوّل للغة العربية، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان، دط، 1987م.
13- البقاعي برهان الدين أبو الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 7، ط1، 1995م.
14- بكري شيخ أمين، البلاغة العربية في ثوبها الجديد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج 1، ط 10، 2005م.
15- ابن تيمية: أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم، الاستقامة، تح: محمد رشاد سالم، ج 1، دط، د ت.
16- ثائر علي الحلاّق وآخرون، رياض الزّهر: في تدبّر الوصايا العشر في القرآن الكريم، تح: أيمن عبد الحميد خطاب وآخرون، فريق البحث العلمي، سوريا، دط، دت.

17-حفني ناصف وآخرون، دروس البلاغة، تح : محمد بن صالح العثيمين، مكتبة أهل الأثر، الكويت، ط1، 2004م.

18-حميد آدم ثويني، البلاغة العربية: المفهوم والتطبيق، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2007م.عيسى علي العاكوب وعلي سعد الشتيوي، الكافي في علوم البلاغة العربية: المعاني، البيان، البديع، الجامعة المفتوحة، الإسكندرية، دط، 1993م.

19-الخليل أبو عبد الرحمان بن أحمد الفزاهيدي، معجم العين، تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، د م ، ج 5، دط، د ت.

20-الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، دط، دت.

21-الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تح : صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، سوريا، ط 3، 2002م.

22-الرافعي مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 9، 1973م.

23-الزبيدي محي الدين أبو الفيض السيد مرتضى الحسني الواسطي، تاج العروس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 39، ط 1، 2007م.

24-الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، دت.

25-الزمخشري أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد، أساس البلاغة، تح : محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 1، ط 1، 1998 م.

26-السعدي عبد الرحمان بن ناصر، تيسير الكريم الرحمان في تفسير كلام المنان، تح: عبد الرحمان بن معلا اللويحق: مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط 1، 2002م.

27-السكاكي ابن أبي بكر محمد بن علي، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1983 م.

28-سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق، ج6، ط 15، 1988م.

29-ابن سيده أبو الحسن علي بن اسماعيل، المحكم والمحيط الأعظم، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 8، ط 1، 2000م.

30-السّيوطي جلال الدين أبي عبد الرحمان، أسباب النزول: المسمى "لباب النقول في أسباب النزول"، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط1، 2002م.

31-السيوطي جلال الدين، تفسير الذر المنثور في التفسير المأثور، دار الفكر، بيروت، لبنان، ج6، دط، 2011م.

32-الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، دط، د ت.

33-الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن محمد ، فتح القدير: الجامع بين فنّي الرواية والدّراية من علم التفسير، تح: يوسف الغوش، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط4، 2007م.

34-الصابوني محمد علي، صفوة التفسير، مج1، دار القرآن الكريم، بيروت، ط1، 1976م.

35-الصابوني محمد علي، مختصر تفسير ابن كثير، تح: محمد علي الصابوني، دار القرآن الكريم، بيروت، مج3، ط7، 1981م.

36-صالح بن عبد الله بن حميد، المختصر في تفسير القرآن الكريم، مركز تفسير الدراسات القرآنية، السعودية، دط، دت.

37-صبحي الصالح، مباحث في علوم القرآن، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 10، 1977م.

38-صغيّر بن علي الشّمري، الوصايا العشر في آخر سورة الأنعام، دار ابن الأثير، دط، دت.

39-صغير بن علي الشمري، الوصايا العشر في أخر سورة الأنعام، دار ابن الأثير، د ط، د ت.

40-طالب محمد اسماعيل الزويعي، البلاغة العربية علم المعاني، بين بلاغة القدامى وأسلوبية المحدثين، دار الكتب الوطنية، بن غازي، ط1، 1997م.

41-ابن أبي عاصم أبو بكر أحمد بن عمر، السنة، تح: باسم بن فيصل الجوابرة، دار الصميعي، الرياض، ج 1، ط 1، 1998م.

42-عاطف فضل محمد خليل، تركيب الجمل الإنشائية في غريب الحديث، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، 2004م.

43-عبد الحميد بوترعة، صور ودلالات الالتفات في سورة "لأنعام"، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، العدد 5، 2013م.

44-عبد السلام محمد هارون، الأساليب الإنشائية في النحو العربي، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط5، 2001م.

45-عبد العزيز أبو سريع يس، الأساليب الإنشائية في البلاغة العربية، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1989 م.

46-عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية : علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2009م.

47-عبد اللطيف شريفي وزبير دراقي، الإحاطة في علوم البلاغة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، دط، 2004م.

48-عبد الله بن حميد الأثري، أنواع الشرك، دار ابن خزيمة، الرياض، السعودية، د ط، د ت.
49-عبد الواحد حسن الشيخ، دراسات في علم المعاني، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنية، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت.
50-عبده العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط4، دت.
51-العثيمين محمد بن صالح، تفسير القرآن الكريم: سورة لقمان، المملكة العربية السعودية، ط1، دت.
52-عفيف عبد الفتاح طبّارة، روح القرآن: تفسير سورة الأنعام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت.
53-علي الجارم ومصطفى أمين، البلاغة الواضحة: المعاني، البيان، البديع، دار المعارف، مصر، د ط، دت.
54-عمر عبد الوهاب عتيق، علم البلاغة بين الأصالة والمعاصرة، دار أسامة، الأردن، عمان، ط1، 2012م.
55-عويض بن حمّود العطوي، يابني: موعظة لقمان لابنه، مكتبة الملك، الرياض، ط2014،2م.
56-ابن فارس أبو الحسن أحمد بن زكرياء ، معجم مقاييس اللغة، تح: إبراهيم شمس الذين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 2، ط 1، 1999م.
57-فضل حسن عباس، البلاغة وفنونها وأفنانها: علم المعاني، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 12، 2009 م.أبو هلال العسكري، الصناعيين الكتابة والشعر، تح: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، مصر، ط 1، 1952 م.
58-فهد بن عبد الرحمان بن سليمان الرومي، خصائص القرآن الكريم، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط 10، 1997م.
59-فهد خليل زايد،الإعجاز العلمي و البلاغي في القرآن الكريم،دار النفائس للنشر والتوزيع،عمان،الأردن، ط1، 2008م.
60-الفيروز أبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تح: أبو الوقائص الهويني المصري الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2004م.
61-الفيروز أبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005م.
62-الفيروز أبادي، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، ج1، دط، دت.
63-القرضاوي يوسف، الصبر في القرآن الكريم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 3، 1989م.
64-القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمان بن عمر بن أحمد بن محمد الخطيب، الإيضاح في علوم البلاغة: المعاني والبيان والبديع، تح: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003 م.

65-ابن قيم الجوزية، الضوء المنير على التفسير، مؤسسة النور للطباعة والتجليد، ج 6، د ط، د ت.
66-ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين بين منازل " إياك نعبد وإياك نستعين" ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان، ج 1، ط 1، د ت.
67-الكفوي أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني، الكليات: معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، د ط، 1998م.
68-ابن مالك بدر الدين ، المصباح في المعاني والبيان والبديع، تح: حسني عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، د ط، د ت.
69-المتنبي أبو الطيب، ديوانه، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1983 م.
70-محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب، علوم البلاغة: البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط 1، 2003 م.
71-محمد أحمد مغبد، نفحات من علوم القرآن، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، ط1، 1986م.
72-محمد اسماعيل إبراهيم، القرآن وإعجازه العلمي، دار الفكر العربي، بيروت، د ط، د ت.
73-محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ج 8، د ط، دت.
74-محمد أمين الضناوي، معين الطالب في علوم البلاغة: علم المعاني – علم البديع – علم البيان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م.
75-محمد بن عبد العزيز بن نصيف، بطاقات التعريف بسور المصحف الشريف، المملكة العربية السعودية، ط1، 2019م.
76-محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تح: محمد عبده، دار المنار، مصر، ج4، ط3، 1367 هـ.
77-محمد علي الصابوني، التبيان في علوم القرآن، دار إحسان للنشر والتوزيع، طهران، ط 3، 2003م.
78-المراغي أحمد مصطفى، علوم البلاغة: البيان والبديع والمعاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 1993م.
79-مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تح: بن محمد الفريابي أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، ط1، 2006م.
80-مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، مصر، د ط، 2002م.
81-مصطفى العدوي، قصّة وصايا لقمان لابنه، دار الصحيفة، دط، دت.رامي حنفي محمود، تفسير سورة لقمان كاملة بأسلوب بسيط، شبكة الألوكة، دط، دت.

82-ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، مج 1، د ط، د ت.
83-منيرة محمد ناصر الدّوسري، أسماء سور القرآن وفضائلها، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، دت.
84-نور محمد مؤيّد الجندلي، رَوح وريحان في موضوعات القرآن الكريم (طريقة لتسهيل حفظ القرآن عن طريق الإلمام بمضمون السور)، دط، 2004م.
85-النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ، أسباب نزول القرآن، تح: أحمد صقر، دط، دت.
86-هيا بنت ناصر الراشد، الصبر جنة المؤمن، دار رسالة البيان للنشر والتوزيع، الرياض، ط 1، 2014م.
87-الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، تح: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج 4، ط1، 2001م.
88-يوسف عبد الله الأنصاري، "أساليب الأمر والنهي في القرآن الكريم وأسرار البلاغة"، بحث مقدم للحصول على درجة الماجستير في البلاغة والنقد، قسم الدراسات العليا العربية، كلية اللغة العربية، جامعة أم القرى، السعودية، 1990م.
89- يوسف مسلم أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية: علم المعاني- علم البيان – علم البديع، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، ط 1، 2007 م.

فهرس المحتويات

الفهرس	الصفحة
شكر و تقدير.	
مقدمة.	أ
مدخل	
1- تعريف البلاغة.	5
1-1- تعريف البلاغة لغة.	5
1-2- تعريف البلاغة اصطلاحا.	6
2- فروع علم البلاغة.	7
2-1- علم البيان.	7
2-2- علم البديع.	13
2-3- علم المعاني.	17
الفصل الأول: مفاهيم نظرية لمصطلحات البحث	
1: الخطاب والخطاب القرآني.	28
1-1: مفهوم الخطاب.	28
1-1-1: تعريف الخطاب لغة.	28
1-1-2: تعريف الخطاب اصطلاحا.	28
1-2- مفهوم الخطاب القرآني.	29
1-3- خصائص الخطاب القرآني.	30
2: وصايا القرآن الكريم.	32
2-1: مفهوم الوصية.	32
2-1-1: تعريف الوصية لغة.	32
2-1-2- تعريف الوصية اصطلاحا.	33
2-2: مضامين وصايا القرآن الكريم.	35
2-2-1: المضمون العقائدي.	35
2-2-2: المضمون الأخلاقي (التربوي).	43

2-2-3- المضمون الاجتماعي.	48
2-2-4: المضمون التعبدي.	52
الفصل الثاني: الأمر والنهي ودلالتهما البلاغية	
1- أسلوب الأمر.	55
1-1- مفهوم الأمر.	55
1-2- صيغ الأمر.	57
1-3- الأغراض البلاغية لأسلوب الأمر.	58
2- النهي.	69
2-1- مفهوم النهي.	69
2-2- صيغة النهي.	70
2-3- الأغراض البلاغية لأسلوب النهي.	71
الفصل الثالث: الأمر والنهي في سورتي الأنعام ولقمان.	
1- التعريف بسورتي الأنعام ولقمان.	82
1-1- سورة الأنعام.	82
1-1-1- تعريفها.	82
1-1-2- أسباب نزولها.	83
1-1-3- موضوعاتها.	84
1-2- سورة لقمان.	90
1-2-1-تعريفها.	90
1-2-2- أسباب نزولها.	91
1-2-3- موضوعاتها.	92
2- دراسة تطبيقية في وصايا سورتي الأنعام ولقمان.	97
2-1- الأمر والنّهي في وصايا سورة الأنعام.	97
2-1-1- جدول إحصائي لصيغ الأمر في وصايا سورة الأنعام.	99
2-1-2- جدول إحصائي لصيغ النّهي في وصايا سورة الأنعام.	105

2-2- الأمر والنّهي في وصايا سورة لقمان.	112
2-2-1- جدول إحصائي لصيغ الأمر في وصايا سورة لقمان.	114
2-2-2- جدول إحصائي لصيغ النهي في وصايا سورة لقمان.	120
3-المقارنة بين بلاغة الأمر والنهي في وصايا سورتي الأنعام ولقمان.	124
3-1-أوجه التشابه.	124
3-2- أوجه الاختلاف.	128
3-3- الاستنتاج.	129
الخاتمة.	131
المصادر والمراجع.	133